REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SOCIALES

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العالمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

مذكرة ماستر 2

قسم العلوم الانسانية

شعبة تاريخ

تخصص : تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:

بن يحي مزروع

يوم:02/06/2025

بجاية الحفصية ودورها في تفعيل العلاقات الاقتصادية بين ضفتي المتوسط (7-9هـ/13-15م)

لجنة المناقشة:

علي زيان	الرتبة	جامعة بسكرة	مناقش
جهينة بوخليفي	الرتبة	جامعة بسكرة	رئيس
مسعود كربوع	الرتبة	جامعة بسكرة	مشرف

السنة الجامعية: 2024-2025

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله رب العامين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ثم أما بعد:

من التقاليد الجميلة التي يحتفظ بها الباحثون الجامعيون دائما ، هو الاعتراف بالجميل و توجيه الشكر والتقدير لإساتذتهم في كل مقدمة رسالة جامعية ، وهو تقليد لايحيد عنه إلا من حاد عن البحث العلمي نفسه .

وأول شكر لله عز وجل على اتمام هذا العمل المتوضع .

كما أحيي في الأ ستاذ المشرف كربوع مسعود على روح العمل والتفاني في أداء الواجب دون كلل أو عناء من توجيهات ونصائح قيمة حيث أنه كل مايقال عليه لايوفيه حقه .

وكذلك الى جميع الزملاء الذين كانو إخوة بالنسبة لنا فلم يبخلوا علينا ولم يدخروا أي جهد كل منهم بإسمه ، وإضافة إلى اشكر الأساتذة الأفاضل الذين درست على يديهم بداية من مشواري الدراسي إلى يومنا هذا ، دون أن أنسى اللجنة المناقشة مشكورة بملاحظاتها القيمة حيث كانت دائما تزيل الغموض علينا لتطوير البحث العلمي .

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في هذا العمل ، وبارك الله فيكم .

الحمد لله ذي الفضل والإحسان ، خلق الانسان و رفعه وفضله بالعلم و الأخلاق ، تبارك وتعالى ربنا الذي أنزل أول آية من القرآن : **"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5) "**

بمناسبة إتمام مذكرة التخرج أهدي هذا العمل المتواضع إلى من قال فيهم الله سبحانه وتعالى :" **وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا** "أبي رمز الصمود وأمي نبع الحنان أمدكما الله بطول العمر وتمام الصحة والعافية إن شاء الله ، وإلى إخوتي الأعزاء ، اللهم إني أسألك أن تيسر أمور إخوتي، وأن تسهل عليهم الحياة وأن تُبعد عنهم المشقّات، وأن ترزقهم راحة البال وسلامة الصدر .

وإلى عائلتي الكريمة وأبنائي وبناتي أولهم عبد الصمد رمز الرجولة ولجين المثابرة وإياد المشاغب والكتكوة الصغيرة يقين ، اللهم افتح على أبنائي فتوح العارفين، وارزقهم العلم النافع، وأكرمهم بالتقوى، وجملهم بالعافية، وارزقهم حكمة الأنبياء والمرسلين.

و إلى كل الأصدقاء والأحبة الأحياء منهم والأموات ،فالأحياء أسأل الله أن يبارك الله في أعمارهم والأموات أسأل الله أن يرحمهم ويغفر لهم ويسكنهم فسيح حناتة ، إن شاء الله .

المقدمة

لقد عرف المغرب الاسلامي خلال الفترة الممتدة مابين القرنين السابع والتاسع هجري العديد من الحواضر الاسلامية ، التي حظيت بمكانة مرموقة من بينها بجاية التي تعتبر من أهم مدن المغرب بالاسلامي والتي لا تقل شأنا عن باقي عواصمه ، فلقد نالت شهرة واسعة في أوساط المجتمعات البربرية لاسيما بعد تأسيسها في القرن الخامس هجري ،الحادي عشر ميلادي، فشهدت خلال هذه الحقبة تألقا وبروزا لامثيل له ، بفضل موقعها الاستراتيجي ومؤهلاتها الاقتصادية ومكانتها السياسية ، اذ كانت ولفترة طويلة من تاريخها مقرا للحكم والنشاط التجاري والعلمي حيث برزت تدريجيا إثر التحول السياسي في العهد الحفصي الذي عرفته مابين الولاء و الانفصال ، لبلوغ ذروة التطور بإنفتحها عل التجارة المتوسطية فغدت بذلك من أهم مراسي بلاد المغرب ومنفذا بحريا هاما الى أوربا ، بعد أن كانت مجرد ميناء صغير.

و بالرغم من مكانة بجاية التاريخية و الحضارية كقطب اقتصادي في القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي (7هـ/13م)، إلا أن الدراسات في هذا الموضوع جد قليلة باستثناء الدراسة التي قدمها روبار برنشفيك المستشرق الفرنسي الذي ألف كتابا ضخما بعنوان "تاريخ افريقية في العهد الحفصي من ق 13م إلى نهاية 15م، و الصالح بعزيق في كتابه بجاية في العهد الحفصي ، كدراسة اقتصادية وضحت فيهما العلاقات التجارية البحرية ، وأهم المعاهدات والمراسلات التجارية بينها و بين الممالك النصرانية .

ومن هذا المنطلق تتضح أهمية الموضوع كونه يسلط الضوء على بجاية في العهد الحفصي ، وماعرفتة من تطور اقتصادي نشط ، فكان التركيز على النشاط التجاري ، وفهم دور المعاهدات والمراسلات التجارية ، في تفعيل العلاقات بين ضفتي المتوسط .

ولمعالجة هذا الموضوع المراد دراسته طرحت الاشكالية التالية :

فيما يتمثل دور بجاية الحفصية في تفعيل العلاقات الاقتصادية بين ضفتي المتوسط (7-9هـ /13 - 15م)؟

وللاجابة على هذه الاشكالية تم طرح مجموعة من التساؤلات وهي:

- الى من يعود أصل تسمية بجاية وماهو الدور الذي لعبه اطارها الجغرافي ؟
- كيف اتسمت علاقاتها بجيرانها ضمن مجالها المغاربي ؟
- فيما تمثلت الاوضاع الفلاحية والصناعية وأثر ذلك على النشاط التجاري ؟
- ماهو الدور الذي لعبة المعاهدات والمبادلات التجارية في تفعيل العلاقات بين ضفتي المتوسط؟

و إن اختيارنا لهذا الموضوع تقف وراءه جملة من الاعتبارات أهمها:

- تسليط الضوء من خلال هذا العمل على مدينة بجاية في العهد الحفصي و التعرف على هذه الفترة المشرقة من تاريخ هذه الحاضرة و ما عرفته من تطور اقتصادي.

- التعرف على الدور السيادي لحاضرة بجاية المستقلة على اقليمها البري والبحري من خلال فرض هيمنتها التجارية بين ضفتي البحر الابيض المتوسط على غرار الحواضر الاخرى.

و لأن كل عمل لا يخلو من الصعوبات فقد واجهتنا العديد من الصعوبات نذكر منها صعوبة التحكم في المادة العلمية، وذلك باستخلاص العلاقات التجارية ككل و قد زادت الصعوبة في إبراز أهم المعاهدات والمراسلات للحاضرة مع الممالك النصرانية التي عرفت شحا في المادة العلمية .

و لمعالجة الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي السردي الذي يتناسب مع سرد الأحداث التاريخية، و على المنهج التحليلي لانتقاء المادة العلمية من مصادرها الأصلية و هذا تقصيا للأمانة العلمية مع الحرص على الموضوعية التاريخية.

ولقد تم إنزال هذا العمل في مقدمة و ثلاث فصول و خاتمة. أما المقدمة فقد جاءت كتمهيد للموضوع و نذكر أهميته مع طرح الإشكالية، و ذكر دوافع اختيار الموضوع و الصعوبات

التي واجهتني في إنجاز هذه الدراسة ، إضافة إلى المنهج الذي اعتمدنا عليه، و أخيرا نقد لبعض المصادر و المراجع المكملة التي أعانتنا هذه الدراسة.

فإختص الفصل الاول المتمحور تحت عنوان " الاطار الجغرافي والتاريخي لبجاية الحفصي(7-9هـ/15/13م)" اندرج ضمنه مبحثين فالمبحث الاول تناول أصل تسمية بجاية وأهمية موقعها الجغرافي الاستراتيجي وقد خصص المبحث الثاني لبجاية كإمارة مستقلة عن الدولة الحفصية و قد وضح أهم العلاقات السياسية الخارجية لبجاية الحفصية ضمن مجالها المغاربي أي علاقة بجاية مع كل من نظيراتها تونس و بنو مرين و بنو زيان .

كما جاء الفصل الثاني بعنوان" الأوضاع الاقتصادية لبجاية الحفصية" يندرج ضمنه المبحث الاول النشاط الفلاحي تناولت فيه الزراعة والري وتربية المواشي وختم بأهم عراقيل الانتاج الفلاحي أما المبحث الثاني فقد تضمن النشاط الصناعي وتطرق فيه لأهم الصناعات كصناعة السفن وصناعة الاخشاب والمنسوجات والصناعة الجلدية والفخارية والزجاجية وختمت بمبحث ثالث تضمن النشاط التجاري داخل المدينة تم التطرق فيه عن دور الاسواق والفنادق والسكة في تطوير التجارة الحفصية.

أما الفصل الثالث بعنوان" الدور التجاري لبجاية في تفعيل العلاقات الخارجية بين ضفتي المتوسط(7-9هـ/15/13م)" فقسم لثلاث مباحث فالمبحث الاول تناول دور بجاية الحفصية في التجارة الخارجية أما المبحث الثاني فتناول العلاقات التجارية بين ضفتي البحر الابيض المتوسط وأهم التعاملات و المعاهدات والمراسلات التجارية أولا : مع الامارات الايطالية لكل من جنوة وبيزا وفلورنسيا والبندقية ثانيا مع شبه الجزيرة الايبرية التي كانت مع إسبانيا من جهةو مع بلاد الأندلس من جهة أخرى و ثالثا : مع امارات وممالك البحر الابيض المتوسط فعلاقتهم مع قبرص ومرسيليا وبلاد المشرق الاسلامي وختم الفصل بمبحث ثالث تناول طبيعة المبادلات التجارية مع بجاية الحفصية فتم التعرف على أهم الصارات من منتوجات

فلاحية وحيوانية ومواد صناعية وفي الاخير أهم الوردات البجائية.

و قد تم الاعتماد على في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر، تنوعت ما بين كتب التاريخ والتراجم و الرحالة و الجغرافيا متفاوتة القيمة من حيث مدى احتواءها على المعلومات التي لها صلة بالموضوع و على مراجع مكملة.

1-كتب التراجم:

- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 704هـ / 1304م) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" ، الذي لم يغفل الإشارة إلى الأوضاع الاقتصادية و الأحداث السياسية، و بذلك فيكون قد أفادني في الكثير باعتباره صفحة مشرقة من التاريخ الحضاري و الفكري لحاضرة بجاية.

2-كتب التاريخ العام:

ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ / 1406م)" العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان "الأكبر المتكون من سبعة أجزاء، فالجزء السادس منه الذي خصص لدراسة الأوضاع السياسية للمغرب الإسلامي بما فيه بجاية، أفادنا بمعلومات هامة خاصة ما يخص بجاية من الناحية السياسية كونها الحاضرة الثانية للحفصيين.

- ابن قنفد القسنطيني أحمد بن حسين الخطيب (ت 810هـ / 1407م) "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، هذا الكتاب الذي خصص لدراسة الدولة ،الحفصية و قد أفادنا في التعرف على الحياة السياسية لبجاية كإمارة مستقلة .

3-المصادر الجغرافية:

- مؤلف مجهول عاش في (ق6هـ / 12م) "الاستبصار في عجائب الأمصار" و هو من المصادر الجغرافية المهمة لكونه يتحدّث عن أهم المنتوجات الزراعية و مختلف الصناعات

التي تميز بها سائر جهات المغرب الأوسط بما فيها بجاية، أفادنا في معرفة أهم المنتوجات الزراعية و مختلف الأنشطة الصناعية ببجاية.

– حسن الوزان بن محمد"وصف إفريقيا" يعتبر من أهم المؤلفات المتناولة لتأريخ بلاد المغرب و يتكون من جزأين، و لقد استعنا في هذا البحث بالجزء الثاني الذي درست فيه مملكة بجاية فتحدث عن معالمها فوصفها وصفا دقيقا تاريخيا و جغرافيا و كان لهذا الجزء فائدة عظيمة في معرفتنا بالحياة الاقتصادية ببجاية.

و يضاف إلى هذه المصادر بعض المراجع المكملة التي استفدت منها في هذه الدراسة لعل أهمها :

– روبار برنشفيك المستشرق الفرنسي الذي ألف كتابا ضخما بعنوان "تاريخ افريقية في العهد الحفصي من ق 13م إلى نهاية 15م، المقسم إلى جزءين تناول في الجزء الأول منه الحياة السياسية بشكل مستفيض، و في الجزء الثاني منه تناول الأوضاع الاقتصادية، أفادني في معرفة الأنشطة اقتصادية والدور الذي لعبته في تنشيط الحركة التجارية .

– صالح بعزيق : بجاية في العهد الحفصي ، دراسة اقتصادية واجتماعية ، أفدني كثرا في توضيح العلاقات التجارية مع ممالك ضفتي البحر الابيض المتوسط والتعرف على أهم المعاهدات والمراسلات التجارية خاصة مع الممالك النصرانية منها .

الفصل الاول : الاطار الجغرافي والتاريخي لبجاية الحفصية (7-9هـ/13-15م)

المبحث الاول : أصل تسمية بجاية وموقعها الجغرافي الاستراتيجي:

1-أصل تسمية بجاية .

2-الموقع الجغرافي وأهميته .

المبحث الثاني :العلاقات الخارجية لبجاية الحفصية ضمن مجال المغرب الاسلامي:

1-علاقة بجاية المستقلة بتونس .

2- علاقة بجاية الحفصية ببني مرين .

3- علاقة بجاية الحفصية ببني عبد الواد .

المبحث الاول : أصل تسمية بجاية وموقعها الجغرافي الاستراتيجي:

1- أصل التسمية :

بجاية بالكسر و تخفيف الجيم وألف وياء وهاء، مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب[1] تميزت بجاية منذ القدم بميزاتها الخاصة حيث استطاعت أن تلفت الأنظار إليها، فأول من اكتشف سحرها و جمالها الطبيعي الكنعانيون الفينيقيون [2] الذين عمدوا إلى تأسيس مراكز و محطات تجارية في طريقهم البحري الرابط بين مدينتي صور و قادس، حيث تنبهوا لموقع بجاية البحري الحصين، و أنشئوا به مرفأ لهم و مدينة فينيقية عرفت باسم سالداي Saldae و منذ ذلك الوقت غدت مدينة سالداي حلقة وصل بين شرقي البحر المتوسط وغربه و نقطة لتبادل السلع و البضائع التجارية التي اعتمد عليها الفينيقيون في تجارتهم كالفضة و الشمع و غير ذلك[3] و بالإضافة إلى اسم سالداي كان لبجاية اسم آخر هو بقاية أو بقايت[4] و ذلك لغة المنطقة أي البربر.. أو باللغة الأجنبية بوجي.[5]

---

[1] الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في الأقطار، تح : إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص80.

[2] – **الفينيقيون:** هم أقوام ظهرت في شمال منطقة الهلال الخصيب ، بداية من الألف الثالث ق.م ثم نزحوا بعد ذلك إلى الساحل السوري، فاختلطوا بالسكان. ينظر: محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ط، د، س،ص: 14.

[3] محمد الشريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية ، دراسة في الحياة الفكرية و الاجتماعية، تق :محمد الأمين بلغيث، الجزائر ، دار كرم الله للنشر و التوزيع ، د. ط ، 2011 ، ص: 13.

[4] **بقاية أو باغاية:** كانت هذه المدينة في مرحلة الفتح الإسلامي قلعة حصينة، اعتمدت عليها الكاهنة للوقوف ضد حسان بن النعمان فحاول الفاتحون الاستيلاء عليها ينظر : صالح بن قربة ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، د، ط، 2007، ص:239.

[5] –"**بوجي**" هذا المصطلح أطلقه الأروبيون على بجاية وتعني الشمعة هذا يدل على أن بجاية كانت تشتهر بتجارة الشمع ، أنظر: مريم هاشمي ، اسهامات علماء بجاية في الحركة العلمية في المغرب الأوسط خلال القرنين (807 هـ / 14-15 م) ، مجلة كان التاريخية، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، عدد21،2013 ، ص118.

أطلق الوندال على بجاية اسم كور وهو لفظ يعني الصخرة وجعلوا مقرا لإحدى ولايتهم تتمتع باستقلالية معينة و يسيرها حكام أعيان الوندال[1] فمن خلال البكري نلاحظ مدى تأثير الاستقرار السياسي على تحقيق الازدهار الاقتصادي.

بعدها لم تعرف بجاية تاريخا ملحوظا حتى إلى غاية قدوم الحماديين[2] خاصة بعد انتقالهم من القلعة [3] ، التي دمرت على يد بني هلال[4] حيث توجهت أنظار الأمير الحمادي الناصر بن علناس نحو بجاية كملجأ و التخلص من بني هلال فرأى أنها موضع البلد و الدار السلطانية و غير ذلك فأمر ببنائها،[5] و لقبها بالناصرية[6] .

2- الموقع الجغرافي وأهميته :

تقع بجاية شمال المغرب الأوسط عند درجة 52 ° و 40° دقيقة على طول خط العرض الشرقي و 36° و 40° دقيقة على طول خط العرض الشمالي ودرجة الحرارة فيها 17[7]وهي

---

[1] بومهلة تواتي، بجاية حاضرة البحر ونادرة الدهر ، الجزائر، دار المعرفة، 2010، ص 38.

[2] **الحماديين:** نسبة إلى حماد بن بلكين بن زيري بن مناد البلتكاني الصنهاجي (ت 419هـ)، أعلن دعوته للعباسيين و أسقط الدعوة الفاطمية. ينظر : عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، تق: أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، ،2003، ص 168.

[3] **القلعة:** من أكبر البلاد قطرا و أغزرها خيرا و أوسعها أموالا و أحسنها قصورا و مساكن وأعمها فواكه و خصبا كما تلقب كذلك بقلعة أبي الطويل. ينظر : الشريف الادريسي (أبي عبيد الله محمد بن عبد الله بن إدريس) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م، 1414هـ، ج1 ، ص 263 ؛ و إسماعيل العربي، المدن المغربية، الجزائر, المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط ؛ 1984 ، ص167.

[4] **بنو هلال:** هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوران ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، ومن بطونهم بنو فروة و بنو بعجة، و بنو حرب، وبنو رياح الذين أفسدوا إفريقية. ينظر : أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ، تح : عبد السلام محمد هارون القاهرة ، دار المعارف، ط5، د، س، ص ص 272.

[5] محمد الشريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية، ، دراسة في الحياة الفكرية و الاجتماعية، تق : محمد الأمين بلغيث، الجزائر ، دار كرم الله للنشر و التوزيع ، د، ط ، 2011، ص 13.

[6] **الناصرية** : نسبة إلى الناصر بن علناس (481هـ - 1088م) خامس ملوك الدولة الحمادية دامت فترة حكمه 27 سنة، ينظر : رشيد برويرة ، الدولة الحمادية الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية د، ر، ط ، 1977،1397هـ، ص 66.

[7] شارل فيرو، بجاية ، تر: اسماعيل العربي ، مجلة الاصالة، العدد 19، سنة 1974 ، ص 363.

تطل على ساحل البحر بين افريقية والمغرب[1] بنيت على جرف حجر يحيط بها البحر من ثلاثي جهات وصفها صاحب " الاستبصار " وهي مدينة عظيمة، ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها ، والبحر منها في ثلاث جهات في الشرق والغرب والجنوب ولها طريق الى جهة المغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى جالون الكبير[2] .

وصف موقع بجاية بتقوس شبه اهليجي عرضه نحو 28 ميلا وعمقه في المتوسط 8 اميال في منتصف امتداد شواطئ الجزائر يمتد الى اسفل المدينة في اتجاه الغربي نحو ميلين وفي هذا السهل يصب وادي بجاية الذي كان فيه السفن مثقلة بالبضائع اليها بحرا وبرا ، ويمتد عند رأس العوانة(كاليولو) والى غاية غربا الذي ينحدر من جبل ميسون[3] الجبل جواريا حاليا[4].

وينبثق من جبل جواريا فوق السطح ثلاث رؤوس وهي رأس بوحاي وفي الوسط رأس بوأك وفي الجنوب رأس المثقوب في الشمال[5] ومن الغرب على بعد ميل ينبع من جبال جرجرة نهر عظيم كان يعج بالمسافرين في عهد الحماديين وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا ويجوز من شاء في كل موضع منه[6] وكذلك ان مدينة بجاية كانت قطب أكثر من البلاد أو

---

[1] محمد عبد الرؤوف المناوي ، الكواكب الدرية في تراجم السماوة الصوفية (الطبقات الكبرى) تح: محمد سامي ابو بكر ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، 2009 ، ج3 ، ص559 ؛ دومنيك فاليرين ، بجاية ميناء مغاربي ، تر: علاوة عمارة، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، ج 1 ، ص 59.

[2] مجهول، الإستبصار في عجائب الامصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، أفاق مرسيه، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 129

[3] **جبل ميسون:** وهو الجبل الذي فيه بجاية جبل عظيم عال قد ذهب في الجو وقد خرج في البحر وفيه مياه سائحة وعيون كثيرة وبساتين وكثرة القردة وفيه الحيوان المشبوك المسمى بالذرب ، أنظر الاستبصار مصدر سابق ،ص130.

[4] اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1980، ص 183.

[5] اسماعيل العربي، نفسه، ص183 184.

[6] الادريسي: مصدر سابق، ص260؛ ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمَوي (ت574 - 626 هـ)معجم البلدان ، ج1،دار الغرب الاسلامي ط1، 1993 بيروت ،ص238

المدن المغرب الاوسط من بجاية الى الى اتدجان يوم أو بعض اليوم من بجاية عمالة بسكرة 5 ايام وبين بجاية وقالمة 8 مراحل ومن تاويت طبنة 7 مراحل وبين بجاية و جزائر بني مسغنة 4 ايام وسنن بجاية اربعة ايام[1].

و إضافة إلى الموقع الجيواستراتجي الذي تتميز به مدينة بجاية، فمناخها حرا صيف وممطر شتاء كما أنها قريبة من البحر الابيض المتوسط الذي يلطف جوها وبفضل المميزات وخصائصها الطبيعية وتنوع في أشكالها وتضاريسها من سهول وهضاب وجبال جعلها تتوفر على كل الخصائص المدن الساحلية [2].

لم يقتصر دورها في المدن الداخلية فقط بل دخلت في روابط مع من يحطوا بها من البحر مثل الأندلس، والتي قال عنها صاحب تقويم البلدان "يقابل بجاية من الأندلس طرطوشة وعرض البحر بينهما ثلاث مجاري[3]، بهذا يكون موقع المدينة مرتبط بالتطور الحضاري .

أما عن أهمية موقها الجفرافي والاستراتيجي فجعلها مدينة تستقطب العلماء نذكر منهم كل من العلامة عبد الرحمن بن خلدون [4] و عبد المؤمن بن علي[5] وغيرهم كثير . أما عن الرحالة فنجد الإدريسي وابن بطوطة و من الأوربيين نجد العالم الرياضي الإيطالي ليوناردو

---

[1] الادريسي ، المصدر السابق، ص260 ؛ ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ص339.

[2] عبد الحميد عويسي ، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر ، دار الشروق ، ط1، 1980م، ص 103.

[3] ابو الفداء عماد الدين اسماعيل(ت:732هـ/1331م)،تقويم البلدان، تص:البارون مك كوكين ديسلان ، د ، ط ، دار صادر ، بيروت ، د ، س ، ص 137.

[4] **عبد الرحمن ابن خلدون** : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، ولد بتونس عام 1332م-732هـ من أسرة أندلسية (ت 1406م/808هـ). ينظر : نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، د.ب؛ دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع، د.ط، 2010 ص257.

[5] **عبد المؤمن بن علي:** هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي، المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية بويع يوم الخميس 14 رمضان 524هـ، (ت 558هـ) و دفن بتنملل. ينظر : مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح : عبد القادر بوباية، الرباط، دار أبي الرقراق، ط1، 2005، ص 208 ؛ و أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق المهدي بن تومرت الرباط ، دار المنصور، 1971، ص 34.

فيبوناتشي و الفيلسوف الإسباني ريمون لول و مما ساعد على تعميرها رحيل الناس من إفريقية و على الخصوص من تلك المناطق التي دخلها عرب الهلالية وعاثو فيها فسادا وعلى رأسها القيروان و غيرها من المدن، كما أن سقوط صقلية في يد النورمان دفع بعدد من سكانها إلى الهجرة نحو المدن الساحلية للمغرب الإسلامي بما فيها بجاية، فساعد هؤلاء على ازدهار الحركة العمرانية حيث أقاموا قصورا لهم، وحتى المهاجرين الأندلسيين الذين توافدوا على بجاية شيدوا بها المنازل فغلب عليها الفن الأندلسي، و بما أن المدينة ساحلية فإن سلاطين الدولة الحمادية وجهوا عنايتهم إلى تحصينها فأقاموا عليها أسوارا جديدة يزيد محيطها عن سبعة كيلومتر [1].

أما فيما يتعلق بالقصور التي كانت ببجاية فقد ذكر أن الناصر بن علناس لما رأى الأميرة بلارة و علو همتها و كرم شملها، أنه ابتنى لها بقلعة بني حماد و بجاية قصورا شامخة و أحاطها الحدائق الأنيقة فيها المروج و الريحان و من كل أصناف الفواكه.

أما المنصور بن الناصر الحمادي فكان هو الأخر مولعا بالبناء فاختط المباني و شيد المصانع و القصور، و يأتي في مقدمة هذه القصور التي شيدها المنصور قصر اللؤلؤة، و قصر ميمون، و قصر الكوكب الذي يعتبر من أجمل قصور بجاية [2].

ومن بين الذين تناولوا هذه القصور صاحب كتاب الاستبصار الذي قال عن تلك القصور لم ير الراءون أحسن منها بناءا ولا أحسن موضعا فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد و الأبواب و المجالس المفرجة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها، قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب و الأزرود وكتبت عليها الكتابات المحسنة فجاءت من أحسن القصور منزها و جمالا [3] ، وبالإضافة إلى القصور التي شيدت نجد

---

[1] صالح بلعيد وأخرون ، العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان وبجاية تيزي وزو د ر ب دار الامل للطباعة والنشر د ط 2011، ص 33.

[2] حساني مختار، الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية عين مليلة الجزائر ، دار المهدي، 2011، ج2، ص 12.

[3] مؤلف مجهول، الاستبصار ، ص 130.

كذلك العديد من المدارس كمدرسة جامع قصبة المدينة و غيرها. وعلى هذا الأساس نجد الشاعر الحسن بن فكون القسنطيني [1] تغنى : بجمال بجاية فقال:

دَعْ العَرَاقَ وَ بَغْدَادَ وَشَامُهَما فَالنَّاصِرِيَة مَا إِنَّ مِثْلُهَا بَلَدُ

بَرٌّ وَ بَحْرُ وَ مَرَجُ الْعُيُون به مَسَارِحُ بِانَ عَنْهَا الدَّمُ وَ النَّكَدُ

حَيْثُ الهَوَى وَ الهَوَاءُ الطَّلْقُ مُجْتَمَعُ حَيْثُ الغنى و المنى و العيشَةُ وَ الرَّغْدُ

فمن خلال هذه الأبيات يعطينا الصورة الخلابة عن جمال هذه المدينة وسحر مناظرها المتنوعة المحيطة بها، و بلغ به الإعجاب منتهاه فقال فيها بأنها لا نظير لها[2].

و يضيف السملالي في كتابه عن إعجابه ببجاية فيقول:

بِجَايَة كُلُّهَا عِقَابُ فِي أَرْضِهَا عُقَابُ

يَخْفَقُ فِي طُوقِهَا فُؤَادُ كَخَرْنَقِ صَادَهُ عُقَابُ

المبحث الثاني :العلاقات الخارجية لبجاية الحفصية ضمن مجال المغرب الاسلامي:

1-علاقة بجاية المستقلة بتونس :

أصبحت بجاية إمارة مستقلة تحت إمارة أبي زكريا الثاني 683هـ / 1187م الملقب بالمنتخب لإحياء الدين، و كان حسب العديد من المؤرخين حازما و عالما يشرف بنفسه على أحوال دولته [3] و في هذا الوقت انقسمت فيه الدولة الحفصية جبهتين شرقية وغربية سنة 683هـ/1187م، فانتصب بحاضرة تونس أبو حفص بن أبي زكريا و استقل بالناحية الغربية أي بجاية و الجزائر و قسنطينة أبو زكريا بن أبي إسحاق الذي وضع أبي الحسين بن سيد

[1] – **الحسن بن فكون القسنطيني:** شاعر و أديب نشأ بقسنطينة، امتاز شعره بالرقة و الحسن و خاصة في وصف الطبيعة. ينظر: أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص 280 .

[2] العباس بن براهيم السملالي، الأعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام،راجعه:عبد الوهاب بن منصور الرباط، المطبعة الملكية ، ط ،1413هـ ، 1993 ، ج1، ص 11.

[3] محمد الشريف سيدي موسى المرجع السابق، ص30.

الناس حاجبا له[1] فكان له شأن كبير في تسيير أمور الدولة، فعرفت بجاية في عهده استقرار سياسي و رخاء اقتصادي و ازدهار حضاري عكس ما كانت تمر به الجهة الشرقية من فتن و اضطرابات.

إن استقرار الأوضاع السياسية بإمارة بجاية المستقلة جعل من صاحب إقليم الزاب[2] المنصور بن بن مزني ينفصل عن الحاضرة تونس و ينضم بأقاليمه الواسعة إلى إمارة بجاية و بذلك امتدت حدودها إلى منطقة الجريد في الجنوب التونسي.

و لأن أبا زكريا يحي الثاني صاحب بجاية كان يرى نفسه أحق بالسلطة الحفصية كلها، فسعى إلى توحيد كل المملكة بشقيها الشرقي و الغربي فانطلق من قاعدة بجاية و بمساعدة جيشها و سكانها نحو تونس 686هـ/1190م التي فرض عليها الحصار، لكن عندما بلغه خبر استعداد صهره الزياني للزحف عليه جعله يعجل بالعودة إلى حاضرته لمساعدة حاجبه أبي الحسن سيد الناس، الذي نظم الصفوف و حال دون سقوطها بين أيدي السلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن[3]، واكتفى السلطان بتخريب قراها و قفل راجعا إلى تلمسان ليكتسب بذلك ابن سيد الناس محبة الرعية له إلى أن وافته المنية سنة 690هـ.

---

[1] ابن قنفذ القسنطيني(أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ت1407/810) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح:محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، دار النشر التونسية ، مكتبة الاسكندرية ، 2002 ، ص22.

[2] **الزاب:** كورة عظيمة و نهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة و قوى متوطنة. ينظر الحميري محمد بن عبد المنعم (ت900هـ/1494م) الروض المعطار في خبر الأقطار تح:إحسان عباس،بيروت، مكتبة لبنان،ط 1 1975، مج3، ص 124. ؛ وينظر الملحق: الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا،بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط،19832 :م،ج 2ص48.

[3] **أبي سعيد عثمان بن يغمراسن:** ولد سنة 639هـ / 1241م ، و كانت مبايعته بالملك بعد وفاة والده سنة 681هـ، 1283م، و كان ملكا شهما حسن السياسة و التدبير. ينظر : مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح: بوزيان الدراجي، الجزائر، مؤسسة بوزياني للنشر و التوزيع، د.ط، 2013،ج2 ص 13.

و مهما كان من الأمر فإن الأمير أبا زكريا استطاع أن يجعل من القبائل العربية بعد استمالتها إلى جانبه ورقة ضغط رابحة في يده يستعملها في وجه خصومه بتونس حيث شنوا حملات و هجومات على المملكة الحفصية بتونس التابعة للأمير أبو عصيدة [1] و الذي لقب بالمستنصر أيضا و شكلوا خطرا على استقرار أوضاعها، فقام أبو عصيدة بدوره في تحريك خيوط اللعبة السياسية حيث استنجد بني مرين من المغرب الأقصى لتشديد الخناق على إمارة بجاية و محاولة القضاء على ثورات الأعراب، و هذا ما يسعى إليه بنو مرين.

لكن الأمير أبا زكريا لم يتمكن من إتمام مهامه إذ توفي ما بين سنتي699-700هـ فبويع ابنه أبو البقاء على إمارة بجاية المستقلة[2] سنة 698هـ فعين يحي بن أبي الأعلام وزيرا له[3]، وفي ظل هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بها إمارة بجاية وجد السلطان المريني يوسف الفرصة سانحة لغزو بجاية، لكنه تمكن فقط من تخريب نواحيها فعبث الجيش المريني فيها فسادا و خرابا و نشر الرعب في أوساط الرعية.

إن المتمعن في الظروف الإقليمية أنذاك يتضح أن إمارة بجاية المستقلة في عهد الأمير أبي البقاء خالد، كانت بين فكي كماشة الحفصيين بزعامة أبي عصيدة من جهة الشرق و المرينيين الزاحفين من جهة الغرب، فاعتمد أبو البقاء سياسة ليتقرب من تونس نسبيا فأرسل سفارة إلى تونس يتقدمها الشيخ أبو العباس الغبريني كبير أهل بجاية، محاولة لتصفية

---

[1] **أبو عصيدة:** أبو عبد الله محمد الثاني، المعروف بأبي عصيدة السلطان الحفصي السادس، بويع سنة 693هـ،(ت سنة بالعصيدة لعمل أمه في نفاسها بالعصيدة و إهداءها للجيران. ينظر : الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر ق 19، تح : يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ج1، ص 157.

[2] عبد الرحمن بن خلدون رحلة ابن خلدون ،تح وتق: نوري الجراح، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات للنشر و التوزيع،ط1، 2003، ص60.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ص363.

الأجواء بين المملكتين[1] لكن دون جدوى بل أتهم هو الآخر بتحالفه مع تونس ضد بجاية، مما أقدم أبي البقاء على سجنه ثم قتله سنة 704هـ [2].

وهكذا استمر الصراع بين المملكتين و تمادى الحاجب ابن اللحياني في التآمر على إمارة بجاية فنكل بأهاليها[3].

وفي الأخير اتفق الاثنان أبو عصيدة و أبو البقاء خالد على الصلح[4] في النقاط التالية:

- وقف العمليات العسكرية و المناوشات بينهما.
- ضرورة توحيد المملكتين تحت حكم الأمير الذي يظل حيا بعد وفاة الآخر.

وشاءت الأقدار أن يتوفى السلطان أبو عصيدة سنة 709هـ فخرج أبو البقاء من بجاية قاصدا تونس من اجل التوحيد، لكنهم ضربوا المعاهدة عرض الحائط و عينوا عليهم أبو بكر بن عبد الرحمن حفيد أبي بكر بن أبي زكريا الأول، لكن جيش بجاية كان قويا بقيادة أبي خالد فتمكن من ردع هذا الأمير وقتله بعد ما دام حكمه سبعة عشر يوما فعرف بالسلطان القتيل الشهيد .

وبدخول السلطان أبي البقاء خالد الحاضرة تونس سنة 709هـ أعاد توحيد المملكة الحفصية بشقيها الشرقي و الغربي [5] ويمكن تلخيص مراحل الولاء الحفصي والانفصال عن بجاية في الجدول الموالي حسب ماجاءت به الدكتورة بوتشيش أمينة[6]:

---

[1] محمد الشريف سيدي موسى المرجع السابق، ص 34.

[2] عمر بلبشير " أبو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية"، الجزائر العصور، ع: 6-7، 2005، ص 289.

[3] المطوي، المرجع السابق، ص289.

[4] مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ)(12-15م) دراسة في دورها السياسي و الحضاري، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر، د.ط، د.س، ن، ص 93.

[5] محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص36.

[6] بوتشيش أمينة ، بجاية من العهد الحمادي الى الغزو الاسباني دراسة تاريخية وحضارية ،شهادة دكتوراء ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ،2016.ص65،66.

السنة	وضعها	السبب
626هـ-675هـ 1229-1277م	الولاء للحفصيين	ضم الأمير الحفصي "أبو زكريا" بجاية إلى ملكه بعد انفصاله عن الدولة الموحدية.
675هـ-718هـ 1277م-1318م	الإنفصال	-استقلال الخليفة "أبي زكريا ابن أبي إسحاق ببجاية، وعليه انقسمت المملكة إلى قسمين (القسم الغربي والشرقي)، ثم استمر بإنفصالها من إبنه الخليفة "خالد ابن البقاء".
718هـ-748هـ 1318-1347م	ولاء مهدّد	-محاولة بني عبد الواد (الزيانيين) السيطرة على بجاية وضمها إلى ملكهم.
718هـ-772هـ 1347م-1370م	الإنفصال	-دخول بجاية في حكم المرنين بعد محاولات عديدة ومنافسة قوية.
761هـ-765هـ 1346-1360م	إستقلالها	-قام السلطان "أبو سالم المرني" بتسليم بجاية إلى صديقه الامير الحفصي "أبي عبد الله محمد سنة 771هـ3119م

767هـ-1366م 772هـ-1370م	الولاء للحفصيين	-تمكن الأمير الحفصي أبو العباس أحمد " من ضم بجاية إلى امارته سنة 767هـ-1366م -توالت على حواضر الدولة الحفصية عدة أزمات لكنها كانت داخلية متمثلة في تواراث الأعراب والخلافات بين الأمراء الحفصيين لكن بقيت بجاية تحت الحكم الحفصي.
772هـ -839هـ 1370م-1435م	الولاء للحفصيين	بعد مسيرة طويلة مع الصراع الزياني الحفصي والمرني الحفصي حول بجاية ، إنتهى برجوع بجاية إلى ولائها للحفصيين خاصة أن بني مرين تعرضوا إلى الغزو البرتغالي
915هـ-1510م	الإنفصال	ساءت الأحوال ببجاية كبقية المدن الحفصية ، بسبب كثرة القرصنة على ساحلها والخلافات التي كانت بين الأمراء الحفصيين هذا ما شجع الأسبان على غزو بجاية وإخضاعها لسلطتهم.

2- بجاية الحفصية وعلاقتها ببني مرين :

كانت العلاقة بين بني حفص و المرينيين علاقة تتحكم فيها ظروف تطور الدولة المرينية ففي المرحلة الاولى أعلن المرينيون[1] تبعيتهم لبني حفص وكان الغرض من هذه التبعية و الالتزام بها إضفاء لون من ألوان الشرعية على حركتهم واتجاههم إلى تصفية الموحدين،

[1] **بنو مرين:** قبيلة بربرية زناتية كانت تستوطن المغرب الأوسط و دفعها العرب اطلاليون غربا فما استقرت في حوض ملونة. ينظر: شروقي طيف ، عصر الدول والإمارات الإمارات المغرب الأوسط موريطانيا (السودان)، القاهرة، دار المعارف، ص286 ؛ و أبو محمد الوليد إسماعيل بن أحمر، تثير الجمان في شعر من نظمي و أيام الزمان، تح: محمد رضوان مارة درس من الداية: الجزائر، المؤسسة الوطنية، طي 1987، ص 27.

فتجد بنو مرين منذ أول أمرهم يخاطبون الأمير أبا زكريا و يعلنون له بيعة البلاد التي يتغلبون عليها مثل مكناسة و القصر و حتى مراكش[1] و هذا من أجل أن لا يقاومهم الحفصيون و يقدمون لهم العون ضد الموحدين، و كذلك إرضاء العامة في بلاد المغرب الأقصى و جذبهم إلى صفوفهم سفارات متبادلة بين المرينيين وبين بني حفص كان لها الأثر في إظهار المودة بينهما، و من بينهما السفارة التي أرسلها الأمير يعقوب بن عبد الحق سنة 665هـ إلى البلاط الحفصي، وقد رد عليها الأمير المستنصر الحفصي667هـ فأوفد على الأمير يعقوب بن عبد الحق كبير الموحدين في وفد من مشيخة الموحدين و معهم هدية عظيمة للأمير المريني [2].

و قد حرص المرينيون على إظهار أن تبعيتهم لبني حفص لم تكن تتعدى مجرد التبعية الاسمية وقد بدأ ذلك منذ عهد السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بويع سنة 685هـ، توفي 706هـ[3].

و عندما حاصر تلمسان خرج عليه راشد بن محمد فتابعته جنود السلطان حتى دخل إلى الأراضي الحفصية في إفريقية و هنا وقف الحفصيون في وجه القوة المرينية التي تتابع ،راشد، و في هذه الآونة كان هناك ثائر آخر على الحفصيين لاذ بالفرار إلى بلاط المرينيين سنة 701هـ و هو عثمان بن سباع بن دريد، الذي انتهز فرصة الخلاف بين المرينيين والحفصيين سبيلا إلى دعوة دخول بني مرين البجاية فاستجاب السلطان يوسف له أي نهاية

---

[1] علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية الرباط،1972م، 1392هـ، ص108.

[2] محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني الكويت، دار القسم للنشر و التوزيع، طاء 1405هـ، 1985م و طي 1408هـ، 1987م، ص211 وما بعدها؛ محمود شاكر، تاريخ الإسلام، دروت، المكتب الاسلامي بال 4، 1991، ج 7 ص275.

[3] محمد المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، الرباط الدار البيضاء : 1420هـ، 2000م، ص 171 .

التبعية، فأصدر إلى أخيه أبي يحي بالاستيلاء على بجاية و بالفعل نجح بذلك ثم قفل راجعا.

وقد انعكس أثر هذه الأحداث على سلوك الحفصيين إذ حرصوا على تحسين علاقاتهم بالمرينيين، ففي سنة 703هـ أوفى السلطان أبي عصيدة على السلطان المريبي (يوسف) محمد بن أكمازير يشرح فيه أسباب ما سلف و غيرها من السفارات المتبادلة بينهم، وكذلك تحد سفارة أبو البقاء خالد صاحب بجاية الذي أرسل وفد من أهل دولته إلى السلطان يوسف لتجديد العهد و تحسين العلاقات فيما بينهم، وكذلك وفد عباد بن سعيد بن عثمان سنة 704هـ فأخرجهم السلطان[1].

وهنا بدأت مرحلة السيطرة المرنية على بجاية التي أصبحت ولاية حفصية تابعة للسلطة المركزية بتونس (الأمير أبو العباس أحمد المتلقب بالمعتمد على الله) في نهاية سنة 747هـ ، أما على بجاية فكان الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا متوليا لشؤون إدارتها، أما السلطان المريني فكان أبي الحسن[2] (731- 752هـ) الذي عين محمد بن تافراجين حاجبا له(ابن السلطان التونسي).

فحرض هذا الأخير أبي الحسن على غزو إفريقية مقابل وضعه لنفسه بين يديه فكان ذلك، حيث وجه السلطان أبي الحسن جيوشه نحو بجاية ففتح لهم أميرها أبوابها بعدما عجز عن التصدي لهم، وأعلن عن طاعته وولاءه للعرش المريني [3] و هذا ما كان سبب في عزله .

---

[1] نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد يوسف بن يعقوب المريني، العراق، جامعة الموصل، 1425هـ، 2009م، ص 55.

[2] **أبي الحسن** : علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق و يكنى أبا الحسن، ولد عام 697هـ و بويع بعد أبيه سنة 731هـ، كان يحب العلم و يقدر العلماء. ينظر : محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا الحسن، تح: ماريا خيسوس فيفيرا، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط ؛ 1981 ، ص 260 261 .

[3] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره الجزائر ؛ الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د.ط، 1974، ص23 .

لقد جعل أبو الحسن على بجاية عاملا مرينيا يهتم لشؤونها ثم توجه إلى تونس رفقة حاجبه، و هكذا ظلت بجاية مابين مد وجزر فتارة تحت حكم المرينيين و تارة أخرى تابعة لقوى محلية كحكم الأمير محمد بن أبي زكرياء.

لكن ذلك لم يدم طويلا إذ سرعان ما أقدم الأمير أبو عنان فارس (749-759هـ)[1] المريني على توجيه حملة أخرى على بجاية ؛ لتصبح بذلك تحت السيطرة المرينية. وجعل علي بن عمر الوطاسي عاملا عليها سنة 753هـ ، لكن على ما يبدو أن سكان بجاية كانوا رافضين السيادة المرينية ؛ وسيطرة عاملها الوطاسي فقاموا باغتياله[2] ثم عين بدله وزيره الخاص عبد الله بن علي بن سعيد واليا على بجاية بعدها توجهت أنظاره نحو تونس سنة 758هـ فقاد حملة لذلك ثم قفل راجعا إلى فاس حيث توفي بها، فشهدت الدولة المرينية أعقابه اضطرابات بين أسرها حول الاستيلاء على العرش، ففي سنة 760هـ أطلق منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الحق المريني سراح أبي العباس الحفصي إلى قسنطينة و التي كانت هي آخر ما تبقى للمرينيين في إفريقية[3] و بذلك استولى الحفصيون على قسنطينة و استردوا بجاية سنة 748هـ .

3- علاقة بجاية الحفصية ببني عبد الواد :

كان الحفصيون من ورثة الموحدين في إفريقية أشد الطامعين في السيادة على تلمسان، و إزالة حكم بني عبد الواد[4] منها أول الأمر ، فلم يكد يغمراسن بن زيان يستقر في البلد و يقيم

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 214.

[2] محمد الشريف سيدي موسى المرجع السابق، ص: 42.

[3] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 214.

[4] **بنو عبد الواد:** في الأصل العابد الوادي و هم فرع من فروع ،زناتة، واتخذوا تلمسان قاعدة ملكهم سنة 633هـ على يد يغمراسن بن زيان وقد عمروا البلد حوالي ثلاثة قرون. ينظر : ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق و تح : هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع، ط1، 1421هـ ، 2001م، ص: 15 ؛ و مؤلف مجهول، زهر البستان، ج2، ص13.

إمارته فيها سنة 633هـ/1236م، حتى هاجمه أبو زكريا الحفصي طامعا في البلد فاحتل تلمسان في 29 محرم سنة 640هـ، 29 جوان 1242م غير أن يغمراسن تمكن من رد هذه الغارة[1].

أما علاقة بنو حفص بأبى حمو فهي مختلفة عن علاقته بالمرينيين، إذ كان الحفصيون يشتركون في عداءه للمرينيين فكانت حملاتهم المتكررة عليهم واحتلالهم للبلاد المختلفة الواقعة تحت سلطانهم مما يزيدهم قربا منه، و قد ظهر تعاطفهم معه في وقت مبكر قبل تولية أمور دولة بني عبد الواد، إذ احتضنوه و حموه و أجروا عليه بعد مقتل عميه السلطانين أبي سعيد الثاني و أبي ثابت على يد المرينيين سنة 753هـ / م[2].

غير أن الأمور لم تكن صافية بين أبي حمو وكل الحفصيين ، لأن الحفصيين أنفسهم كانوا منقسمين فيما بينهم ولأن بلاده كانت تتاخم ،بلادهم، فكانت أطماعه تسول له الاستيلاء على بعض بلادهم فينزل له على رغبته بعض الحفصيين مثل أبي عبد الله محمد بن يحي الحفصي، حينها أظهر إليه أبو حمو ابنته و لما غلب السلطان أبو العباس الأمير عبد الله على بجاية و هلك في مجال حربه، و أشاع أبو حمو الامتعاض له بمكان الصهر و جعلها ذريعة إلى الحركة على بجاية، فزحف من تلمسان و أنزل معسكره بساحتها و قاتلها أياما إلى أن وافته المنية سنة 791هـ/1389م[3].

ليتولى من بعده ابنه أبي تاشفين زمام الأمور فتدخل الدولة الزيانية مرحلة جديدة من تاريخها، تتمثل في التدخلات الخارجية في شؤونها الداخلية خاصة بعد استنجاد هذا السلطان

---

[1] بوزيان الدراجي، أدباء و شعراء من تلمسان الجزائر، دار الأمل للدراسات و النشر و التوزيع، د.ط،2011 ج1، ص157

[2] لخضر عبدلي ، التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد الجزائر ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص111.

[3] لطيفة بشاري، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر هجري (12-13م) ، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، د.ط، د.س، ص 46، 49 ؛ و لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص112.

ببني مرين ضد أبيه أبي حمو[1] و كذلك نفس الشيء بالنسبة لبنو حفص حيث أصبح لكل من بنو حفص و بنو مرين الحق في عزل من شاء وتولية من يشاء و متى شاء ذلك.

[1] أبي حمو موسى الثاني الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك،تح :محمود بوترعة ،الجزائر، ابن النديم للنشر ؛ د. ط،2011،ص 12.

الفصل الثاني : الاوضاع الاقتصادية لبجاية الحفصية

المبحث الاول : النشاط الفلاحي:

1- الزرعة .

2- الري .

3- تربية المواشي .

4-عراقيل الانتاج الفلاحي .

المبحث الثاني : النشاط الصناعي :

1- صناعة السفن .

2- صناعة الأخشاب .

3- الصناعة الجلدية .

4- الصناعة الفخارية والزجاجية .

المبحث الثالث : النشاط التجاري داخل المدنية :

1- الأسواق .

2- الفنادق .

3- السكة الحفصية

المبحث الاول : النشاط الفلاحي:

كلمة الفلاحة لغة مأخوذة من الفلح ومعناه الشق والقطع، فلح الشيء يفلحه فلحا بمعنى شقّه، والفلح مصدره فلحت الأرض إذ شققتها للزراعة وفلح الزراعة يفلحها فلحا، إذ معناه شقها للحرث، والفلاح إنما قيل له فلاح لأنه يفلح الأرض وحرفة الفلاحة معناها الحراثة[1].

عرف مصطلح الفلاحة عدة ألفاظ أخرى كانت تتداول بين الناس من بينها "الأكرة" أهل القرى وأهل الأرياف وأهل البدو، هذا التعريف الأخير جاء عند عبد الرحمان ابن خلدون حيث يخص الفلاحة بأهل البدو ويقول عنها أنها من أقدم الصناعات ومن فروع الطبيعيات كما أنها من معاش المستضعفين ولا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها[2].

وبالتالي نستنتج أن ابن خلدون ربط الفلاحة بالبدو دون الحضر وهذا راجع أن طابع البداوة يغلب على بلاد المغرب،[3] إذا الفلاحة هي حرفة ونشاط اقتصادي نتيجنته إنتاج فلاحي يعود بالفائدة على المزارع وعلى المجتمع بتوفير القوت ورفع الشأن وأيضا بما تكتسيه الفلاحة من الفضل والثواب، فالقرءان الكريم يحث المسلمين ويوجههم إلى العناية بهذا النشاط الحيوي لقوله تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَ يُبْصِرُونَ" [4] (27).

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، د.ت، ص 3458،3459

[2] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج2، ص 620 ،489.

[3] بوزياني الدراجي، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007، ص 146.

[4] القرآن الكريم ، سورة السجدة، الآية 27 (رواية حفص).

فبجاية كغيرها من المدن الإسلامية اهتمت بهذا المجال المهم وهذا لإنعاش اقتصادها إذ نقل الجغرافيون لنا بعضا من جوانب الفلاحة ببجاية، فسكانها أهل زرع وضرع حسب قول اليعقوبي[1].

1- الزراعة:

عرّف ابن خلدون الزراعة بقوله : هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدهارها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه، وهي أقدم الصنائع كأنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا ....[2] نجد أن مدينة بجاية خلال المدة المحصورة بين تأسيس الناصرية وسقوط بجاية بيد القوة الاسبان نجدها تميزت في أغلبها بازدهار وهذا راجع إلى العوامل التالية:

* إن الدولة الحمادية عندما نقلت عاصمتها من قلعة بني حماد إلى بجاية دخلت في مرحلة جديد من حياتها تميزت بنوع من الاستقرار السياسي لم يسبق لها معرفته من قبل.

* بعد بجاية عن مناطق نفوذ القبائل الزيانية وبني هلال جعلتها تعيش مرحلة هدوء [3] ، ونستدل على أقوال الرحالة الذين زاروا المنطقة من مشارقة ومغاربة و الذين نقلوا المصادر التي تعتبر اليوم مفقودة، ومن بين هؤلاء الرحالة الإدريسي الذي قال عن بجاية:"... لها بواد ومزارع..."[4] وخاصة أن إمارة بجاية توفرت على مناخ معتدل، وأرض زراعية شاسعة ممتدة على نطاق واسع وتربة جيدة ومتنوعة تتلاءم مع العديد من المنتجات الفلاحية، كما تسقط بها كميات معتبرة من الأمطار قد تصل إلى حوالي 1000 ملم سنويا لاسيما في سهل مدينة

---

[1] اليعقوبي،(ت897هـ)، كتب البلدان النجف، المكتبة المرتضية، النشر 1918 ، ص108.

[2] ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط9، 2006، ص 320.

[3] حساني مختار، الحواضر والأمصار ، ج2، دار الهدى الجزائر ص186.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 260 .

بجاية وضواحيها، وقد ساعد انتظام الفصول بها وحرارتها المعتدلة في التأثير مباشرة على المنتجات الزراعية وتنوعها[1].

كما أن الدولة الحفصية التي تأسست على أنقاض الموحدين أقطعت أراضي الأفراد من الجالية الأندلسية على ضفاف وادي ،الصومام فاستغلها هؤلاء لإقامة البساتين وخاصة في عهد المستنصر بالله الذي شهدت فترة حكمه بإنشاء الكثير من البساتين[2].

كما ان المصامدة فإنهم معروفون من أهم القبائل المستوطنة بالغرب فقد اهتموا منذ القدم بالزراعة وغرس الأشجار، وبفضلهم ازدهرت الفلاحة في أراضي كانت مهجورة من قبل، وقد توارد على المغرب مهرة الفلاحين من افريقية، فكان الفلاح ذو مهارة طبيعية يحسن الاعتناء بالأرض وكيفية استغلالها[3]، وكل هذه العوامل انعكست بالإيجاب على الفلاحة ببجاية ويتضح ذلك خلال تنوع المحاصيل الزراعية وكان في مقدمها الحبوب من قمح وشعير وحنطة، وهذا ما يؤكده الحميري فيقول : "... ولها بواد ومزارع والحنطة والشعير بها والتين كثير ... ."[4] لكن الحسن الوزان يرى أن المنطقة تشكوا نقصا في الحبوب وهذا ما يتضح في قوله: "... الأراضي الزراعية بها تعتبر خصبة، لا تستطيع أن تنتج حبوبا، لكنهم مغمورون بالثمار إذ يحيط بالمدينة عدد لا يحصى من الحدائق العامرة بالأشجار..."[5] ، ومن هنا نستنتج أن إنتاج الحبوب في كان غير مستقر في كل من سهول بجاية، بينما اتفقت

---

[1] محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص 50.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، دار الطباعة والنشر الاسكندرية ج2، ص 878.

[3] إبراهيم حركات المغرب عبر التاريخ الدار البيضاء، دار الرشاد للنشر و التوزيع د.ط، 1420هـ، 2000م، ج1، ص338.

[4] الحميري، المصدر السابق، ص81.

[5] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 50.

المصادر في المقابل على ازدهار البستنة وعمل البساتين وتوسعت شيئا فشيئا على حساب مساحة الحبوب.

ومن بين هذه الثمار التي اشتهرت بها مدينة بجاية ،التين، التفاح، السفرجل والجوز، وبأنواع أخرى من الفواكه وبإنتاج الزيتون والعسل وغيره، كما برزت سهول المسيلة ونقاوس والزاب بزراعة القطن بكمية كبيرة [1] وبالإضافة إلى هذا بها أيضا بعض النباتات الطبية التي تستعمل في الأدوية ومنها :

- الدراريخ : وهو بالبربرية أزغلال وينفع في علاج عضة الكلب.
- سندريطش : يعرف عند أهل المغرب بعشبة كل بلاء، فهو مفيد لعلاج الجروح.
- الغريبون : وهو التاكوت بالبربرية يستعمل كحلا للعينين.
- تاسممت :وهو الحماض بالبربرية يفيد في علاج الأورام وقرحة المعدة والغثيان. وغيرها الكثير من الأعشاب التي استعملت كعلاج لجميع الأمراض[2].

2- الري:

يعتبر الماء أحد العناصر الأساسية التي تقوم عليها حياة الكائنات لقوله تعالى :"وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ [3] ، و لا بأس بالتذكير بأن المياه المستعملة في مختلف الأنشطة الاقتصادية وغيرها مصدرها التساقطات المطرية بوجه خاص[4]، خاصة أن بجاية يكثر تساقط

[1] إسماعيل العربي، "العمران" و النشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد"، مجلة الأصالة ص:332؛ الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 51.

[2] حساني مختار، المرجع السابق، ج2، ص 190.

[3] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 30.

4 يوسف نكادي، الزراعة في الأندلس الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، 2009م، ص 103.

المطر بها شتاءا والبحر الأبيض المتوسط الذي يلطف دائما من جوها ويعطيها كل مميزات وخصائص المدن الساحلية ولهذا تمتعت بجاية بثروة مائية هامة متكونة من أودية وأنهار[1].

كما يقول العمري عن عيون بجاية وبها "عينان اثنتان من الماء إحداهما كبيرة منها شرب أهل البلد، ولها نهر وبضفته بستانان للسلطان متقابلان شرقا وغربا الشرقي يسمى الرفيع ، والغربي يسمى البديع[2] ، أما عبد الوحيد المراكشي فيقول ببجاية نهر كبير يسمى الوادي الكبير[3] وعليه بساتين وهو يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم على بعد ميل منها وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا[4]، و إلى جانب هذا الوادي هناك أودية... وعلى هذا الأساس نجد أن الأمراء الذين تداولوا حكم على حكم بجاية قد شجعوا الفلاحين على الاهتمام باستغلال مياه الوديان والتحكم فيها لسقي الأراضي خلال فصل الجفاف[5].

3- تربية المواشي:

لقد عرف المجتمع البجائي تربية الحيوانات كالقرود والفهود [6]، والماعز والأغنام والأبقار والخيول لدى سكان الأرياف والحواضر فوفرت لسائر الإمارة اللحوم والدهون ومنتجات الألبان ومواد أولية للصناعات الصوفية والجلدية.

كما أن جلد الماعز والأغنام كان بضاعة مطلوبة من قبل الأوروبيين، ولا تعود أهمية تربية الأغنام لإنتاج الجلود فقط، بل أيضا إلى إنتاج الصوف والفروة حتى أصبحت الفروة السوداء

---

1 عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر ، دار الشروق ، ط1، 1980، ص 103 ؛ و الغبريني، المصدر السابق، ص: 04.

2 العمري، المصدر السابق ص: 146، 147.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تح : صلاح الدين الهواري ط1 بيروت2007، ص 130.

[4] الإدريسي، المصدر السابق ج1، ص 260 .

[5] حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، الاحوال الاقتصادية والثقافية ،ط2009 الجزائر،ج2، ص189.

[6] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 51.

الرقيقة الجيدة لأغنام بجاية علامة مميزة، ومن هذا يتبين لنا أن تربية المواشي كانت تمثل قطاعا حيويا في النشاط الفلاحي، كما أن البجائيين مارسوا الصيد البحري أيضا[1].

لكن بالرغم من ما عرض تبقى معلوماتنا حول الجانب الفلاحي ببجاية ضئيلة فأغلبها مستقاة من عند الجغرافيين العرب الذين زاروا بجاية.

4- عراقيل الانتاج الفلاحي :

استمر الإنتاج الفلاحي مرتفع ببجاية وهذا ما كان عليه منذ العهد الحمادي ثم الموحدي واستمر حتى العهد الحفصي الأول لأن بجاية تملك كل الطاقات الطبيعية المتنوعة وحتى اليد العاملة الخبيرة هذا ما جعل لها الريادة في مجال الفلاحي، لكن سرعان ما شهد تراجعا كبيرا في نهاية القرن 7هـ/13م بسبب أزمات أثرت سلبا على المردود الفلاحي هذا التقهقر سببه قلة المساحة الزراعية وتوسع البساتين، [2] ففي عهد السلطان الحفصي أبي فارس نشطت حركة البستنة، كما شهدت بجاية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي كوارث وجوائح طبيعية كالجفاف والقحط وغيرها فكانت بمثابة عراقيل أعاقت الإفلاح والفلاح ببجاية ناهيك عن الغزو الإسباني الذي سيعطل هذا النشاط وغيره أيضا.

أما نظام السقاية ببجاية الحفصية تمثل في المناوبة في سقي أراضيهم ومزارعهم من أجل تجنب النزعات.[3] وبعد انقضاء دولة المصامدة تدخل بجاية في خير اتسم بين المد والجزر في ديمومة وجودها فبداية القرن 7هـ / 13م كانت تابعة لبني حفص وما إن انقضى هذا القرن استقلت عن الهنتاتيين ثم بعدها حاصرها المرينيون وكانت من بين أطماع الزيانيين وبقيت على هذا الحال حتى نهاية القرن 9هـ/15م إذ تعرض ساحلها سنة 915هـ / 1510م

---

[1] عائشة ناصر و هناء صحراوي، المرجع السابق، ص: 27 و محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 52.

2 حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 52.

[3] – أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس والمغرب تح محمد حجي، الرباط، المملكة المغربية، 1401هـ ، 1981م، ج6، ص 275.

للغزو الإسباني الذي ستتعرض له بجاية خلاله من إلى الاستبداد والبطش والفساد لسنوات طوال.

كل هذه العوامل والأسباب حركت طاحونة الأمراض وانتشار الأوبئة والأمراض والجوائح الطبيعية وحتى الآفات الاجتماعية من بين ما تعرضت له بجاية وبسبب أكبر نجد مرض الطاعون الفتاك والأوبئة والمجاعة والقحط والجفاف أفرزت كلها نتائج وخيمة على المجال الاقتصادي والاجتماعي للمدينة لأن الناس يقبضون أيديهم عن الفلح . حسب قول عبد الرحمان بن خلدون: "... إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه إما المجاعات فليقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في الآخر (الدول) من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاض الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة فليقل احتكار الزرع غالبا". [1]

وبالتالي نقص في الإنتاج الزراعي الذي يؤدي إلى غلاء المعيشة وظهور طبقة مهمشة كالمتسولين والمتشردين والعاطلين واللصوص الذين يهددون استقرار المدينة فانتشرت بذلك المجاعات والقحط والجفاف وغيرها من الأزمات.

يذكر لنا ابن الزيات التادلي عن مجاعة حدثت في نهاية العهد الحمادي وسببها جفاف فيقول: " كنا ببجاية فأصابتنا مجاعة شديدة... "[2] ولم تكن أول مجاعة وآخر مجاعة تعرفها بجاية بل أشار الغبريني إلى مجاعة أخرى يحدثنا عن الجفاف والمجاعة التي أصابت سكان بجاية أحد الفقهاء الذين أدرجهم الغبريني في مصدره وهو الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد الحسن بن إبراهيم الحرالي "التجيني" قال:" ... كنت ببجاية فأصاب الناس جفوف عظيم وقلت المياه وجفت أمسيون وصل الزق إلى أربعة دراهم وكان الناس يملؤون من الوادي

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج1،ص367.

[2] ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تصحيح أدولف فور، الرباط 1958، ص 448.

الكبير "[1] تبين لنا من خلال هذا القول أن بجاية بسبب الجفاف وقلة المياه نتج عنه غلاء المعيشة وهذا بارتفاع أسعار المواد الغذائية فالقحط والمجاعة تكون مقرونة بالجفاف الذي نتج عن تذبذب مناخي وجراء هذا التقهقر ولد مجموعة من الأمراض والأوبئة الفتاكة كوباء الطاعون الذي كان يهدد مدينة بجاية من حين لآخر.

فالطاعون أو ما يسمى أيضا بالوباء العظيم والفتاك وبالطاعون الجارف وهو مرض عام للناس قتال في الغالب[2]، يصفه لنا ابن أبي حجلة التلمساني في أحد أبياته فيقول فيه:

أرى الموت بالطاعون عم صغارنا *** وخص من الأعجام شيخا معظما

فما كان موت الركن فيهم هيمن*** ولكنه بنيان قوم تهدما. [3]

وعليه هذا الوباء نتيجته حتمية متمثلة في حصد أرواح الناس من جميع الأعمار، وهذا بسبب ما يحتويه من جراثيم وتعفنات تؤدي إلى جفاف الجلد وارتفاع الحرارة وصعوبة في التنفس وتصلب الشرايين نهاية هذه الأعراض الموت الأكيد.

وهذا جدول فيه الطواعين التي عرفتها بجاية خلال السنوات التي مرت عليها:

السنة	وباء الطاعون	المصدر
635هـ/1237م	X	ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص255
693هـ/1294م	X	نفسه، ص409.

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص 151.

[2] محمد المواق و محمد الرصاع ، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية 886هـ / 1481م، تحقيق ودراسة: محمد حسن، ص103 ؛ الزركشي، أبي عبد الله بن محمد ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح : محمد ماضود ، المكتبة العتيقة تونس، ص 175.

3 أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحي ابن أبي حجلة التلمساني، ديوان ابن أبي حجلة ، تحقيق ودراسة مجاهد مصطفى بهجت، كنوز للنشر والتوزيع،تلمسان، الجزائر 2011، ص 301

714هـ/1315م	X	مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص431.
748-749هـ/1347-1349م	X	ابن مرزوق المسند الصحيح ص265. قنفد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، ص 47
844-847هـ/1440-1443م	X	الزركشي، تاريخ الدولتين،ص141.

حسب ما ذكره حسن الوزان أنه يظهر الوباء في البلاد البربرية على رأس كل عشر سنوات أو خمسة عشر سنة أو خمسة وعشرين سنة"[1] فهذا الإحصاء يبين أن كارثة الطاعون كانت تهدد المجتمع البربري من فترة لأخرى والذي انجر حصاد أرواح أفراد من مختلف الطبقات من الأعيان والعلماء وفقراء فلم يسلم أحد منه.

نجد أيضا إلى جانب الطواعين انتشار الآفات الإجتماعية كشيوع الشعوذة والسحر هذا الأخير جاء نتيجة زعم بعض السكان أن وجود مثل هذه الجوائح والكوارث بسبب وجود قوة خفية تحركها وبذلك انتشرت هذه الآفة ناهيك عن ظهور قطاع الطرق واللصوص وعادات سيئة أخرى كالسكر والعاهرات وغيرها كل هذه العوامل ساهمت في تقلص وعجز في المجالات الحيوية لبجاية والفلاحة واحدة منها.

[1] حسن الوزان المصدر السابق، ص172.

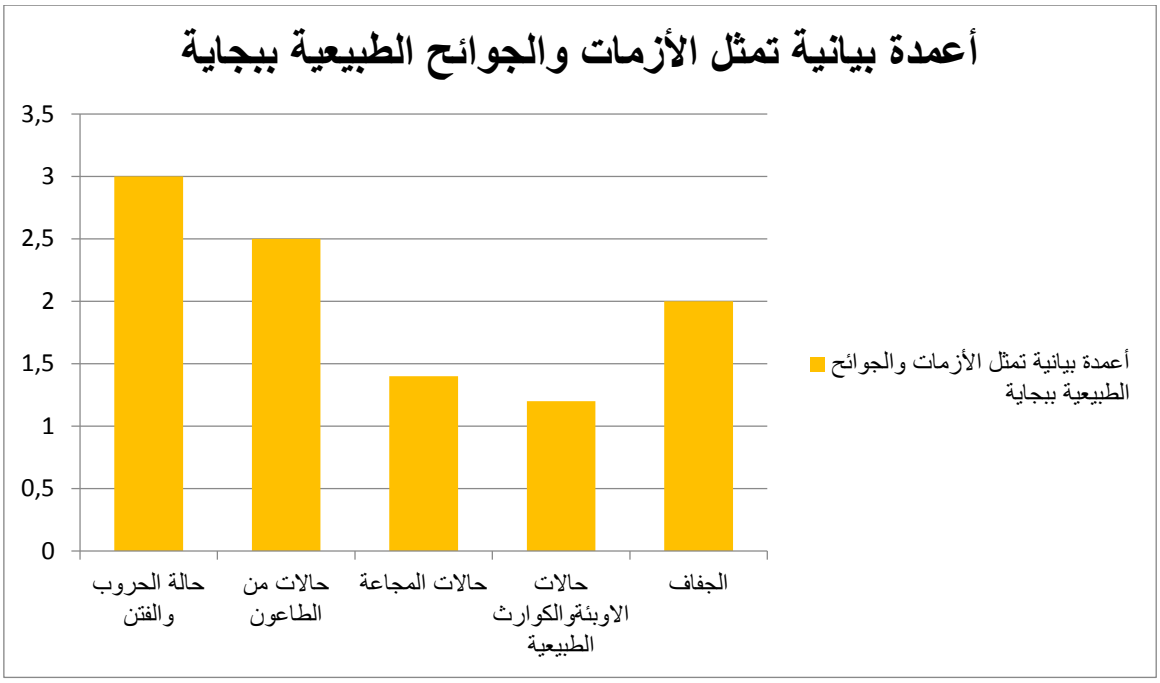

نلاحظ من خلال هذه الأعمدة البيانية التي تمثل نسب متفاوتة في الجوائح الطبيعية والأزمات التي مرت بها بجاية عبر عقودها التاريخية أن العمود الاكبر هو خاص بالحروب والفتن السياسية وهذا دليل على نسبة الحروب التي عرفتها بجاية منذ العهد الحفصي الى الغزو الإسباني هذه الظروف السيئة سببت ظهور جوائح و أمراض وآفات مختلفة أدت إلى القلة في الإفلاح وبالتالي عزوف الناس وهجرتهم إلى مناطق أخرى للبحث عن مورد آخر كما تتقلص بدورها التجارة والتبادلات فتصبح المواد الغذائية ذات أسعار غالية فتنتشر بذلك الأمراض من قلة الغذاء والهواء الفاسد من كثرة الحروب.

اما ثاني نسبة تلي نسبة الحروب والفتن هي نسبة الطواعين ثم تأتي نسبة الجفاف وبعدها الأوبئة والكوارث الطبيعية هذه الأخيرة طاقة غير منتظمة يرافقها زيادة في الفوضى حسب منظور الفزيائيين فالتحول الطبيعي يستهلك الطاقة المنتظمة وبالتالي تؤدي إلى كوارث مختلفة.

وليس فقط هذه الظواهر هي المسبب الوحيد الذي يعطل ويحطم الفلاحة بل حتى الاستبداد فهو يولد الفساد عامل قوي في إعاقة المجال الفلاحي.

نخلص في الأخير أن الفلاحة ببجاية كانت بمثابة المحرك القوي في رفع من مستوى الاقتصادي للمدينة برغم من العراقيل والعوائق المختلفة الذي شهدها هذا المجال إلا أنه بقي ركن اساسي في بنيان المدينة كما لا نستبعد دور الأندلسيين في تطوير الفلاحة بالمدن والحواضر المغربية فهم جلبوا أصناف وأنواع عديدة . النباتات والزريعات كنبتة الزعفران الأندلسي الذي كان موجودا بمدينة **أبه** فالأندلسيين كانوا سابقين في تطوير وتحسين هذا المجال فمن أبرز مهندسي وعلماء الفلاحة الذين أسسوا المدرسة الزراعية الأندلسية خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة نجد كل من محمد بن ابراهيم بن بصال صاحب كتاب الفلاحة وكتاب المقنع في الفلاحة لأبي عمرو أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي وكتاب الفلاحة لأبي الخير الإششبيلي وأيضا زهرة البستان ونزهة الأذهان للطغنري وكتاب الفلاحة لأبي زكرياء يحي بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي وغيرها كثير من المؤلفات والأعمال التي كانت مصدرا لكثير من المجتمعات لا سيما البربرية التي هي مجتمعات فلاحية بدرجة الأولى فالفلاحة لازدهراها وتطويرها لابد أن تتبع اربعة أركان التقيد بها عند كل فلاح في إفلاحه لأرضه وهي الأرض والماء والزبل (الذبال) العمل حسب ما جاء في أرجوزة ابن ليون التجيبي.[1]

وهي الأرض والمياه والزبول *** والعمل الذي بيانه يطول

أما في ما يخص تنظيم وترتيب البساتين والمنايا يواصل القول في أرجوزته:

تنظر للقبلة والباعل *** قرب وللصهريج والبشر أعثلا

أو عوض البئر تكون ساقية*** بالماء من تحت الظلال جارية

وماله بابان فهو أستر *** وراحة الساكن فيها أكثر

[1] **ابن ليون التيجيبي** : ألف أرجوزة في الفلاحة بها 1300 بيت ولقد تتلمذ على يده لسان الدين ابن الخطيب وابن رشد الفهري وغيرهم توفي ابن ليون بألميرية سنة 750هـ / 1349م إثر طاعون ينظر : المقري نفح الطيب، ج5، ص 543.

فجميع الآليات الفلاحية الاندلسية انتقلت إلى المغرب الإسلامي عن طريق الرحالات العلمية أو توافد الأندلسي على شمال أفريقيا واستطانهم في حواضره وبجاية واحدة منهم مكث فيها الأندلسيون فاستفادت بدورها من تقنيات فلاحية مختلفة التي جلبوها كنظام البستنة وطرق الري.

وعليه كل التدابير والتقنيات المختلفة المحلية منها والإقليمية التي عرفتها بجاية في مجالها الفلاحي كان لها إسهام قوي وفعال في ميدانها الإقتصادي وكما أسلفتا الذكر أن معظم المحاصيل الفلاحية كانت تصدر خارج المدينة وهذا إن دل على شيء إنما يدل على القوة الإقتصادية التي وصلت إليها بجاية.

المبحث الثاني :النشاط الصناعي:

عرفت بجاية مختلف الصناعات الغريبة واللطيفة [1] وهذا راجع لتوفرها على المواد الأولية فلا يمكن أن تقام الصناعة بدون المواد الأولية الحيوانية والمعدنية. فبجاية والنواحي المحيطة بها تتوفر على أخشاب تستعمل في الصناعة وكذلك الحديد، ونجد من الرحالة من يؤكد ذلك فيقول الإدريسي : "... توجد بها دار الصناعة وإنشاء المراكب، لأن بها الخشب في أوديتها وجبالها ويجلب من أقاليمها الزفت الرائع الجودة والقطران و بها معادن الحديد الطيب..." [2]فتوفر هذه المواد جعل من بجاية مركزا للصناعة خلال العصور الوسطى.

أهم الصناعات : من أبرز الصناعات نذكر منها:

1- صناعة السفن :

بما أن مدينة بجاية تقع على ساحل البحر المتوسط فانه سهل لها مهمة الاتصال مع الموانئ القريبة والبعيدة عنها، كما أن سكانها قد اهتموا بالنشاط التجاري مما أدى بهم إلى الاهتمام

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص 260.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص 260.

بصناعة السفن التي ينتقلون عليها أو القيام بالجهاد البحري أو مواجهة الأساطيل الأجنبية التي تشن هجوماتها على موانئ المغرب الإسلامي[1]، ومن بين الذين تناولوا صناعة السفن ببجاية الإدريسي وصاحب كتاب الاستبصار هما يختلفان في عدد دور صناعة السفن، فالإدريسي يرى أن بجاية تحتوي على دور لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن، وبالتالي نستنتج أن دار الصناعة ببجاية لا تصنع نوع معين من السفن بل هناك أنواع مختلفة منها الحربية والمدنية.

أما صاحب الاستبصار فيجعل لبجاية دارين لصناعة المراكب وإنشاء السفن[2] التي كان البعض منها يخرج إلى جزر بلاد الروم من أجل الغزو وبذلك يكون الجهاد البحري انطلاقا من بجاية

2- صناعة الأخشاب:

أما صناعة الخشب فقد عرفت ازدهارا ملحوظا لتوفر جبالها على مختلف أنواع الأشجار الغابية مثل : الدردار، الفلين، السرو الساج العرعار الصنوبر البلوط، الأرز والتي تدخل في شتى الصناعات المنزلية منها الموائد والأبواب و القباقب والملاعق والصحون ومراكب الصيد من سفن وقوارب، إلى جانب بعض الأسلحة الحربية والأقواس التي تصنع من شجر الزان[3].

3- صناعة المنسوجات :

تعتبر هذه الصناعة من أقدم الصناعات التي عرفتها البشرية لأن الإنسان يحتاج إلى ملبسه كما عن غيرها يحتاج إلى طعامه، فالملابس تقيه حرارة الشمس والبرودة في الشتاء ولهذا

---

[1] حساني مختار المرجع السابق، ص 152 ؛ و ويل ديوارت ، أبطال من التاريخ ، مختصر قصة الحضارة، تر : سمير كرم، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، 2001م، ص 293.

[2] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 130.

[3] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص198.

فان بجاية لا تختلف. من المدن التي عرفت هذا النوع من الصناعة[1] وممن تعرف على هذه الصناعة من الرحالة نجد صاحب كتاب الاستبصار الذي قال عن أهل بجاية " أنهم كانوا متخصصين في صناعة العمائم فوصفها بقوله كانت لملوك صنهاجة عمائم مذهبية تساوي العمامة الواحدة ما بين والستمائة دينار، وكانوا يعملونها بإتقان..."[2]، كما أن هناك أناسا لا يتعممون بالعمائم بل يضعون على رؤوسهم شواشي الخز وقد تعرض لتلك الشواشي ابن القطان عند كلامه عن وصول ابن تومرت الخمسمائة إلى بجاية فقال: "لقي بها الصبيان في زي النساء بالضفائر والأضراس، والزينة وشواشي الخزّ..."[3].

وغيرها من الملابس التي صنعت ببجاية بل نالت الشهرة الواسعة في ذلك ، وهذا ما يؤكده مرمول كربخال وهذا راجع لوفرة المادة الخامة من الصوف والكتان والقنب [4]

حتى المرأة أسهمت بدور فعال في ازدهارها حيث أن بعضهن كانت تشترط في عقد نكاحها أن لا تمنع من ممارسة حرفتها الصناعية[5]، فقد كانت تشتري الصوف وتتصرف فيه بالغسل والمشط والغزل والنسيج، وتنتج أجود المنسوجات لتلبية متطلبات أفراد الأسرة من ملابس منها البرنوس، الجلابة، الحايك، سراويل الصوف ومن الأفرشة الزرابي على الطراز المغربي والأندلسي[6].

---

[1] حساني مختار، الحواضر والامصار، ج2، ص 193.

[2] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 129.

[3] ابن القطان، أبي محمد حسن بن علي بن ممحمد بن عبد المللك الكتامي ،تح : محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، ص 176.

[4] مرمول كربخال ، إفريقيـــا ،تر:أحمد التوفيق، الإسكندرية،الجمعية المغربيـة للتـأليف د.ط1989،م،ج2، ص 376.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص 278.

[6] مرمول كربخال، المصدر نفسه، ج2، ص 376.

4- الصناعة الجلدية :

حقق سكان بجاية تقدما في الصناعة الجلدية لما توفر لهم من ثروة حيوانية كبيرة، فصنعوا من جلود الأبقار أنواعا من الأفرشة[1] إلى جانب سروج الخيل والأحذية وقرب الماء وتجليد الكتب.

5- الصناعة الفخارية والزجاجية:

توفرت هذه الإمارة على الطين الملائم لصناعة الفخار والأواني المنزلية المختلفة كالقارورات الزجاجية والأباريق البلارية المزينة بالخط العربي الجميل على اختلاف أنواعه وأشكاله منذ العهد الحمادي [2] وغيرها من الصناعات كالغذائية مثل الألبان والأدهان، والتجميلية كالصابون والعطور لكن بالرغم من تنوع هذه المصنوعات إلا أننا نجد ما اشتهرت به بجاية عند الأوربيين صناعة الشمع ولهذا عرفت باسم" بوجي" Bougie أي الشمعة .

المبحث الثالث : النشاط التجاري داخل مدينة بجاية:

شكل تجار بجاية إحدى الطبقات المميزة في المجتمع البجائ، وذلك بجاههم ونفوذهم المالي وهذا ما يؤكده الونشريسي فيقول : " ... إن رجلا من أكابر التجار ذوي الأموال الطائلة ببجاية ..." كما يستفاد من بعض نوازل الميراث ما يعكس الثروة المالية التي كان يمتلكها هؤلاء، فقد ذكر صاحب المعيار أن أحد التجار أوصى قبل موته بثلث تركته من الميراث على شرط أن يخرج منه وصايا معينة من بينها تسديد دين قدره مئة وخمسون دينارا ذهبيا كان في حوزته أمانة ومنه نستنتج أن المائ وخمسون دينارا لم تكن إلا جزءا من الثلث ولنا

[1] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 200.

[2] محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص 52، 53.

أن نقدر عدد ما يبقى من الأموال[1].وقد أبدى هؤلاء التجار تعاطفا كبيرا مع الفقراء والمعوزين إلى جانب ما كانوا ينفقونه من أموال في بناء المساجد[2].

وقصارى القول أن فئة التجار استطاعت بما تملكه من أموال وذخائر من تنشيط الحياة الاقتصادية على المستويين المحلي والخارجي. ونلتمس هذا النشاط في :

1- الأسواق:

منذ أن شيّد الأمير الحمادي الناصر بن علناس بجاية وهي تشهد حركة نشطة إن لم نقل مزدهرة، ومن بين اللبنات الأساسية لهذا النهوض الأسواق الداخلية، فقد لعبت دورا كبيرا في تطوير وتنمية الجانب الإقتصادي للمدينة.

وُجد ببجاية نوعين من الأسواق منها الأسواق اليومية هي أنواع وأسواق أسبوعية التي مازالت قائمة إلى يومنا هذا في المدينة، فالأسواق اليومية هي عبارة عن مجموعة من الدكاكين المصطفة[3] الواحدة أمام الأخرى مختصة في بيع إنتاج ما، فمثلا كان داخل مدينة بجاية سوق الصوف حسب ما جاء في مصدر الغبريني حين يذكر حادثة وقعت لأحد الفقراء عندما التقى بالشيخ "أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي" نزيل بجاية (ت662هـ)، هذا الأخير منح للفقير صرّة بها دراهم فأخذها وانصرف ليقضي حوائجه فيقول الفقير:"... دخلت سوق الصوف فرأيت خرقة أعجبتني فاشتريتها بثلاثين درهما[4]..."فكان في هذا السوق تباع الألبسة الصوفية المتنوعة من برانس وشواشي والعمائم والسراويل والخرق هذا التنوع هو دليل على توفر المادة.

---

[1] – أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المرجع السابق، ج6، ص 06.

[2] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 229.

[3] دكاكين مصطفة أو تسمى أيضا بسماطات (سماط) مصطلح كان متداولا عند الجغرافيين العرب، ينظر: إسماعيل العربي، المدن المغربية، ص 340.

[4] الغبريني، عنوان الدراية، ص261.

أما الصناعة الجلدية بالمدينة أتاح لها فتح أسواق لبيع منتوجاتها المختلفة فوجد سوق الجلديين[1] وسوق الحدادين، فبجاية كانت تحظى بطاقة معدنية قوية على رأسها الحديد الذي استعمل في كثير من الصناعات التي أشرنا لها آنفا في فصولنا، كما كان لها سوق الصباغة وضرب السكة[2]هذا السوق الذي يعتبر لحرفة ثمينة وقديمة لم ينقطع برغم وجود نظم إدارية ومالية مختلفة عرفتها بجاية عبر فتراتها التاريخية الصنهاجية والمصمودية والهنتاتية بل شهد هذا السوق رواجا وحركة واسعة، فلبست نساء بجاية وغيرهن من الأجناس الحلي الثمين كما واصلت بجاية رونقها الحضاري في ضرب السكة فكانت من أكبر حواضر المغرب الإسلامي التي انتشرت فيها ضرب العملة بأصنافها وأشكالها حسب كل فترة إسلامية مرت عليها.

كما يذكر الونشريسي أن كل حواضر المغرب الإسلامي انتشرت بها أسواق وكل سوق يختص بنوع من السلع والبضائع المتنوعة[3] فإلى جانب سوق الصوف والحدادين والصباغة والجلديين ببجاية كان بها أيضا سوق للخضر والفواكه وسوق اللحم التي كانت توفر الحاجيات اليومية لسكان بجاية وكان بها أيضا سوق النحاسين المختصين في بيع الأواني النحاسية وسوق خاص ببيع الشمع والمصابيح الزيتية، فمن هذه الأسواق تعلم الأوربيون كيفية صناعة الشمع ونقلوها إلى ديارهم.

اشتهرت بجاية بمياهها ومنتزهاتها وجنانها، يقول عنها العمري": ببجاية تحف البساتين بالوادي على طول اثني عشر ميلا[4]" يدل على كثرتها مما وفر لديها موردا هاما في الجانب التجاري وهو بيع العطور المستخلصة من أجمل أزهار وورود بساتينها وحدائق بجاية فعرفت

---

[1] محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية، تونس 1999 ج1، ص482،483.

[2] محمد حسن ، المرجع السابق، ص484،485.

[3] الونشريسي، المعيار، ج3، ص157، ج10، ص 217 .

[4] العمري، مسالك، ص 86.

بسوق العطارة الذي يوفر أصناف العطر ومواد التجميل كالصابون المستخلص من الزيتون والحناء والبخور.

انتشرت ببجاية أسواق خاصة ببيع الطعام والمأكولات المتنوعة وهذا النوع من الأسواق لم يوفر فقط الطعام للناس، بل نقل ثقافة المطبخ البجائي إلى خارج المدينة وخاصة أوربا والمشرق والمناطق الجنوبية فسكان بجاية كانوا يجالسون التجار من مختلف المناطق والدول،[1] وهذه المجالسة تنتج عنها الضيافة فأكيد كل هؤلاء من مواد بجاية أو البربر بصفة عامة الذين كانوا يبيعون في متاجرهم أصناف مختلفة من الطعام كالحوت الطازج وشواء اللحم والكسكس، هذا الموروث القائم إلى يومنا هذا والثريد والفواكه المجففة كالتين والشعيرية والبسيبسة[2] وزيت الزيتون المغمس في الخبز ميزها كثيرا.

ننتقل إلى نوع آخر من السوق وهو سوق الرقيق، كان يجلب الرقيق من السودان الغربي أوائل القرن 6هـ/ 12م ثم تنوع السوق بالسبي والأسرى جراء الهجومات التي كانت تشنها أساطيل بجاية على السواحل الأوربية بسبب القرصنة التي فتكت بأرواح العديد من البجائيين إلى غاية القرن 9هـ/15م، وهنا يقول ابن خلدون..."فتنبهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل أفريقية لغزو بلادهم وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة فبجمع الفقراء وطائفة من غزاة البحر ويصنعون الأسطول ويتخيرون له أبطال الرجال ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفلة، فيتخطفون منها ما قدروا عليه ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم تصبح طرق البلد بصخب السلاسل والأغلال.."[3]

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص92.

[2] روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن10 الى 12م تح: حمادي ساحلي ج2، ص 199.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص96 ؛ مؤلف مجهول، الإستبصار، ص120 .

وكان السكان ينزلون لشراء السبي من البيض والسود بالقرب من الخومة المذبح[1] والكثير من هؤلاء الرقيق وظفوا لخدمة البيوت في بجاية والفلاحة والصنائع والحرف وغيرها من النشاطات، أما المرأة فلها نصيب من التجارة وبيع منتوجاتها فإحدة نوازل الونشريسي يشير إلى امتهان المرأة هذه المهنة فكانت تبيع بضائعها أمام بيتها بمساعدة الدلالين[2].

أما الصنف الثاني من الأسواق وهي العامة أو الجماعية فكانت بدورها يباع فيها مختلف أنواع البضائع المجلوبة من مختلف المناطق، فأهل البادية ونساء البادية والقبائل المجاورة ومن بين الذين توافدوا على بجاية لعرض إنتاجهم وسلعهم في هذه الأسواق وكانت تقام هذه التجمعات في مناطق واسعة ليتسنى للجميع عرض بضائعهم والاتجار بها إلى جانب هذا كان يتم الإعلان عن المناسبات والأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء وشهر رمضان وغيرها داخل هذه الأسواق وفيه أيضا يعلن عن انطلاق موسم الحصاد[3].

كما كانت هذه الأسواق مقسمة إلى أجزاء يقام في كل جزء عرض خاص لنوع من الإنتاج بالإضافة إلى قيام مثل هذا النوع من الأسواق كان لابد من وجود الأمن والاستقرار وهذا ماعرفته بجاية في العهد الحفصي (7هـ-9هـ/13م-15م).

إلى جانب هذا التجمع السكاني التجاري كانت هناك أسواق أخرى تعقد في أيام الأسبوع ما تسمى بالأسواق الأسبوعية كسوق السبت مثلا أو سوق الأحد وسوق الإثنين فالإدريسي يشير إلى وجود هذه الأسواق الأسبوعية التي كانت تصل إلى بجاية والقلعة عليه حراسة مشددة وأيضا سوق السبت،[4] إذ كان التجار والوافدون على المدينة يتجهون إلى هذه الأسواق المقام

---

[1] الغبريني، عوان الدراية، ص76 .

[2] الونشريسي، المعيار، ج6، ص 78 .

[3] خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6 هـ - 9 هـ / 12م- 15م) : دراسة في دورها السياسي والحضاري دار الامل للطباعة، 2011 ، ص 203.

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 93 ،92.

في أحد أيام الأسبوع الخاصة ببجاية لأن بقية الأيام كانت مقسمة على حواضر أخرى مثل سوق الخميس[1] إلى جانب هذا كله كانت هناك أسواق موسمية كالأعياد الدينية والمواسم الفلاحية وغيرها.[2]

يخلص أن هذا التنوع الكبير في الأسواق إنما يدل على اتساع المدينة وأهميتها كحاضرة اقتصادية فبجاية كما كانت بعض الأسواق تقام خارج المدينة كسوق الدباغة والصباغة والحياكة وهذا لتجنب الروائح الكريهة. وجود حركة حضارية بداخلها كما لم تكن للأسواق دور اقتصادي فقط بل كان لها في نشر الوعي ولم تكن وحدها المحرك للاستقطاب التجاري بل لعبت الفنادق أدوارا مهمة أيضا، ففي مدينة بجاية كان لأبي علي سلمى(القرن 7هـ) حانوت بمجلس فيه تاجر بسوق قيسارية بجاية...[3]

2- الفنادق:

الفندق لم يكن مقتصرا فقط للمبيت بل كان قطبا تجاريا مهما تنعقد فيه الاتفاقات التجارية وينزل فيه التجار من مختلف الأجناس والمناطق والقبائل المجاورة بل خزنت السلع[4]في هذه المؤسسة الاقتصادية للاتجار بها في اليوم التالي، فمثلا سكان زواوة كانوا يعرضون منتوجاتهم على سكان المدينة وضيوف المدينة والنصارى،[5] من حبوب ومواشي التين المجفف هذا الأخير لم تنقطع القرى والدشرات البربرية من صناعتها إلى يومنا هذا وهذا بسبب ما يحويه من فوائد صحية.

---

1 الحموي، معجم البلدان، ج1، ص316 ؛ المقدسي،(أبو عبد محمد بن احمد المقدسي البشاري) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم،القاهرة، ط3، 1992 ص 205.

[2] عز الدين عمر موسى،الموحدون في المغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم ، جامعة الملك سعود الرياض ، ص293.

[3] الغبريني، عنوان الدراية، ص 36 25.

[4] الونشريسي، المعيار، ج6، ص 426.

[5] خلفات مفتاح، المرجع السابق، ص 207.

عرفت مدينة بجاية كغيرها من حواضر الدولة الحفصية وجود فنادق خاصة بالنصارى فكان لها طابع معماري خاص فبداخل هذه الفنادق أقيمت كنائس[1] وملاهي فمثلا للجنويين من بين التجار الذين أوجدوا لأنفسهم وكالات تجارية على موانئ بجاية وبالتالي تزايدت فنادقهم [2] بسبب وجودهم المكثف ببجاية وعليه لعبت الأسواق الداخلية ببجاية وفنادقها دورا بارزا في تنشيط الحركة التجارية بها كما خلقت بنيات تحتية أخرى كفنادق خاصة بالجاليات الأجنبية ترعة التجارة الأجنبية ببجاية وهذا دليل على وجود علاقات سلمية متبادلة.

كما كان داخل الفنادق المسيحية مستودعات لبضائعهم وسوق داخلي يقام فيه المزاد وحماماتهم وكنائسهم وملاهيهم كما وجدت قنصليات فيها قنصل يمثل ويحمي تجارتهم ويفصل في قضاياهم.[3]

3- السكة الحفصية:

يعرفها عبد الرحمن بن خلدون على أنها": النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص ...ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالإستجادة والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك، ونقش فيه نقوش خاصة به، فيوضع على الدينار بعد أن يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش. "4 ويمكن القول أن السكة أو النقود أو العملة هي من أهم الوثائق المادية الهامة التي تمدنا بالمعلومات التي توصلنا إلى حقائق تاريخية لحقبة ما من حيث ، نوعها ومادتها ووزنها ونوع كتاباتها ونقشها ومكان ضربها.5

---

[1] الونشريسي، المعيار، ج2، ص 215 .

[2] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 206.

[3] مزاري توفيق عبد الصمد، النشاط البحري الغرب الاسلامي، منشورات دار الثقافة الجزائر2014. ص 226.

[4] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ج1، ص 281.

[5] غازي الشمري، دراسات في النظم الإسلامية ، ط1 ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2002، ص 145.

أحصى لنا المؤرخ التونسي صالح بعيزيق عدد العملة المضروبة في بجاية خلال العهد الحفصي ب 18 قطعة، وقطعتين من نصف الدينار مضروبتين ببجاية، فالدينار الحفصي هو وريث الدينار الموحدي، كما أنه ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: نصف الدينار، ربع الدينار، ثمن الدينار.

عرف الدينار الحفصي إستقرار في الوزن والحجم، فمعياره كان 4.70 غرام من الذهب كما تعرض لظاهرة الغش والتزوير، أما حجمه تراوح قطره بصفة خاصة الدينار المضروب ببجاية بين 25و30 مم وأحيانا 20مم و18 مم1، رسمه المربع مثل الدينار الموحدي وفيما يخص نص الدينار، جاء فيه السلطان أو الأمير[2] وأسم المكان التي ضربت وأحيانا لا تذكر. كما حافظت أيضا الدراهم الفضية الحفصية التي ضربت ببجاية على نفس الخصائص وقد أمدنا الأستاذ صالح بعيزيق بعددها وهو 12 قطعة .

تداول المجتمع البجائي في العهد الحفصي كغيره من مجتمعات الدولة الهنتانية درهم القديم خلال القرن 7هـ/13م، ثم إنتقلوا إلى درهم جديد بوزن 1.50 غرام من الفضة، لكن لم يمنع الناس من تداولهم للدرهم القديم المخلوط بالنحاس، وللفصل بين الدرهم الجديد والدرهم القديم خضعا إلى المعادلة في قيمتها وقوتها في السوق .[3]

كما تعرض الدرهم الجديد في منتصف القرن(9ه/15م)إلى الغش والتزوير، فأستحدث في عهد السلطان أبو عمرو وعثمان درهم الناصري والذي يساوي ثلاثة مرات الدرهم الجديد.[4]

---

[1] صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، تونس1996 ص 259، .266.

[2] كان يعوض إسم السلطان بأسم الأمير عند إنفصال بجاية عن السلطة المركزية ، لكن بدون التصرف في نص العملة ينظر: صالح بعيزيق، المرجع نفسه، ص 266، .267.

3 المرجع نفسه ،ص 270،271.

[4] المرجع نفسه، ص 273.

1- نص لعملة ضربت ببجاية فترة إنفصالها عهد **الأمير الحفصي أبو زكريا بن أبي إسحاق** (684هـ-700هـ/1284م-1298م)[1]

الوجه:

الهامش: الأمير المنتخب لإحياء دين الله أبو زكريا إبن الأمراء الراشدين

المركز:

الشكر لله

والمنة لله

والحول والقوة بالله

بجاية

الظهر:

الهامش: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد- والحكم إله واحد- لا إله إلا هو- الرحمن الرحيم

المركز:

الواحد الله

محمد رسول الله

المهدي خليفة الله 2

2- العملة ضربت ببجاية في **عهد أبو يحي أبوبكر:**

الوجه:

الهامش: الأميرالأجل- المتوكل على الله- المؤيد بنصر الله

المركز:

---

[1] ينظر الملحق :عادل أنور خضر، تاريخ أطلس الجزائر ،ص88.

[2] صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي ص267 .

أبو يحي أبوبكر

بن الأمراء

الراشدين

بجاية

الظهر:

الهامش: بسم الله الرحمن الرحيم– صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

المركز :

الواحد الله

محمد رسول الله

المهدي خليفة الله1

3- عملة ضربت ببجاية **عهد الأمير أبو الحسن علي بن أبي فارس:**

الوجه:

الهامش: بسم الله الرحمن الرحيم– صلى الله على سيدنا محمد لا إله إلا الله– محمد رسول الله

المركز:

الشكر لله

والحول والقوة بالله

المهدي خليفة الله

الظهر:

الهامش: المتوكل على الله- المؤيد بنصر الله- أميرالمؤمنين

[1] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ، ص 267.

المركز:

أبو الحسن علي ابن أمير المؤمنين

أبو فارس عبد العزيز

بجاية[1]

[1] صالح بعيزيق، المرجع السابق ، ص268.

الفصل الثالث : الدور التجاري لبجاية الحفصية في تفعيل العلاقات الخارجية بين ضفتي المتوسط مابين القرنين (7-9هـ/13-14م)

المبحث الاول : دور بجاية في التجارة الخارجية .

المبحث الثاني :العلاقات التجارية بين ضفتي البحر الابيض المتوسط :

أولا : مع الامارات الايطالية : (- جنوة – بيزا – فلورنسا – البندقية).

ثانيا : **مع** شبه الجزيرة الايبرية : (-الممالك المسيحية- بلاد الاندلس) .

ثالثا : مع امارات وممالك البحر الابيض المتوسط : (– قبرص – مرسيليا – بلاد المشرق الاسلامي).

المبحث الثالث : طبيعة المبادلات التجارية مع بجاية الحفصية :

1- الصادرات .

2- الواردات .

المبحث الاول : دور بجاية الحفصية في التجارة الخارجية :

يذكر الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق..."مدينة بجاية في وقتنا هذا بمنتصف القرن السادس للهجرة هي مدينة المغرب الأوسط والسفن غليها مقلعة ولها قوافل منتجة والأمتعة بها برا وبحرا مجلوبة وأهلها مياسير وبها من الصناعات والصناع ما ليس في كثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل السدود وتباع البضائع بأموال مقنطرة... "[1] بهذا الوصف الدقيق الذي خصنا به الإدريسي حول النشاط التجاري ببجاية، فالملاحظ أن هذا المجال كان نشطا بصورة كبيرة وقوية والدليل هو توافد القوافل المحملة بالبضائع والسلع على أسواق بجاية من كل حدب وصوب ما يؤكد انتعاش الحركة التجارية البرية خاصة مع المناطق الصحراوية والغربية والمشرقية

إضافة إلى حركة التبادل التجاري عن طريق المنافذ البحرية، فميناء بجاية كان يتلقى السفن الوافدة من أوربا وبلاد الشام والمشرق الإسلامي، فهذه القوة التجارية التي امتلكتها مدينة بجاية تعود بدرجة أولى إلى امتلاكها لمختلف موارد التجارة كالمنتوج الفلاحي والمنتوج الصناعي المختلف، فالإنتاج البجائي من ضمن الموارد التي يزيد عليها الطلب في الأسواق الخارجية، والسبب الثاني في ازدهار التجارة ببجاية خلال حقبتها التاريخية المتعاقبة عليها أي منذ تأسيسها في العهد الحمادي إلى غاية نهاية العهد الحفصي هو الطابع الإجتماعي لسكانها الذين يتأقلمون مع مختلف الأجناس المتوافدة على بجاية وهذا ما ذكره لنا الإدريسي": أهلها مياسير هذا المراس السلس لأهلها أن يحضوا بمكانة تجارية عالمية وأن تبرم اتفاقيات ومعاهدات تجارية مع مختلف المدن والجمهوريات لا سيما الجمهوريات

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص36.

الإيطالية كبيزا وجنوة والبندقية ومع مرسيليا وكتالونيا والأرغون إلى غاية سقوطها تحت الغزو الإسباني الذي سيطر على الملاحة في حوض البحر المتوسط سنة 910هـ/1510م.

المبحث الثاني :العلاقات التجارية بين ضفتي البحر الابيض المتوسط :

بحكم الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي تتموقع عليه بجاية منحها قوة تجارية بحرية أكثرها نشاطا من الحركة التجارية البرية ، فبجاية تحوي على ميناء آمن حسب قول البكري": مرسى مامون مشتة قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس" [1] فأمن ميناءها وإطلالها على واجهة بحرية كلها كانت عوامل مشجعة لربطها بعلاقات تجارية مع الدول البحرية خاصة الأوربية فميناء بجاية يذكره صاحب كتاب الاستبصار أنه كانت تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها،[2] فهذا الاستقطاب المتنوع من مختلف أجناس التجار سببه راجع إلى أن بجاية كانت تشكل مركز نقل اقتصادي قوي لكونها محطة رئيسية لتجارة الذهب بين صحراء غرب أفريقيا وجنوب أوربا.

تحدثت المصادر أنه شهد ميناء بجاية كل الأجناس لا سيما وجود مكثف للإيطاليين الذين مارسوا الإبحار البحري مع بجاية خاصة منذ القرن 7هـ /13م إلى غاية القرن 9هـ/15م فقد شهدت هذه الفترة الزمنية الطويلة تعاملات مع مختلف جمهوريات ومدن ايطاليا الفرنجية والمشرقية وغيرها.

أهم التعاملات وبعض المعاهدات والمراسلات :

أولا : مع الامارات الايطالية :

---

[1] البكري، المصدر السابق، ص 155.

[2] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 130.

1- مع جنوة:

يعتبر الجنويون من بين التجار الأوائل الذين أوجدوا لأنفسهم وكالات تجارية على ميناء بجاية بالإضافة إلى الفنادق الخاصة بهم ، فقد أبرموا العديد من المعاهدات التجارية مع التجار البحائيين فافي بداية القرن 7هـ/13م تم تسجيل ميناء بجاية من أهم الموانئ في التعاملات التجارية فلقد لعبت السفن التجارية الجنوية دورا كبيرا بينه والتجار الجنويين،[1] في الربط بين بجاية وأوربا والمشرق ونقل البضائع ونقل الناس إذ يذكر لنا الغبريني كانت تصل المراكب النصرانية لحمل الناس إلى ميناء بجاية..."ولقد وصل في بعض الأحيان من ناحية الشام في شهر ذي الحجة"[2] وهذا أيضا ما أكده لنا ابن جبير أن السفن المسيحية كانت تحمل المسافرين إلى ميناء بجاية.[3]

أنشأت جنوة خطوطا بحرية مع بجاية فكان لها خط تجاري بحري يربط بين سبتة وهران بجاية الاسكندرية أو حلب، سبتة وبجاية ومرسيليا والإسكندرية وسبتة.[4] وكان الجنويون بعد ترحالهم عبر موانئ أوربا يحطون في ميناء بجاية،[5] لعرض سلعهم وبضائعهم ثم يشحنون منها بضائع أخرى ليواصل سفنهم التنقل من ميناء بجاية إلى تونس ومحطات تجارية أخرى.

وبالرغم من هجمات الإيطاليين والنورمان على سواحل شمال أفريقيا فإن التجارة لم

---

[1] علاوة عمارة، النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر 6هـ12م، دراسات في تاريخ، ص36.

[2] الغبريني، عنوان الدراية، ص27.

[3] ابن جبير،(أبو الحسن محمد بن احمد النبلسي ت614هـ) رحلة ابن جبير، ط1 ، دارالشرق العربي والنشر والتوزيع بيروت 2007 ص218.

[4] لطفي بن ميلاد، إفريقية والمشرق المتوسطي من اواسط القرن 5هـ/11م الى مطلع القرن 10هـ/16م: وقائع الانفصال وتحديات الاتصال ، بيت الحكمة تونس ص214.

[5] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق ، ص221.

تتقطع مع المدن المسيحية بل شهدت تطورا كبيرا ما بين القرنين السادس والثامن للهجرة (12م/14م) ،ومدينة جنوة كانت من المدن التي تواصل تعاملها مع ميناء بجاية إلى غاية بداية القرن (9هـ/15م)، ومن مظاهر التعاون التجاري البجائي الجنوي وجود موظفين مغاربة من بجاية وغيرها من المدن في جنوة مهمتهم ومن خلال هذه الوظيفة تعلم بعض تجار المدن الإيطالية اللغة العربية التي زادتهم تواصلا بالتجار المغاربة ،بل أنشأت الحكومة الجنوية مدرسة لتعليم اللغة العربية عام (604هـ/1207م)[1].

وقد زادت حركة التعامل التجاري بين بجاية وجنوة خلال العهد الحفصي فبجاية تصدرت المراتب الأولى في قائمة الموانئ التي تتعامل معهم جنوة و الاتفاقيات والمعاهدات التجارية المبرمة بينهم أكبر دليل على هذه الصدارة، ففي عهد الأمير أبي زكرياء الحفصي عقدت جنوة معه اتفاقية تجارة وسلم تدوم صلاحيتهامدة عشر سنوات وكان هذا الاتفاق سنة633هـ/1236م حسب "ماس لاتري"،[2] وتجدد هذا الاتفاق ليشمل تمديده لعشر سنوات أخرى سنة 649هـ/1251م[3] وفي سنة 671هـ/1272م استفادت جنوة باتفاقية أخرى تدوم مدتها 10 سنوات[4] ورغم انفصال بجاية الأولى والثانية عن الدولة الحفصية إلا أنها واصلت علاقاتها التجارية مع جنوة وغيرها من المدن الأوربية ،وهذا بسبب المكاسب والامتيازات القائمة بين بجاية وحواضر أخرى، هذه الظروف المستقرة بين بجاية وجنوة نستطيع القول أنها كانت تتخللها من حين لآخر بعض العراقيل والمشاكل التي كانت تعيق مسار التعامل التجاري البجائي الجنوي من بينها الخلاف الثنائي بين جنوة وبيزا الذي كان يصل ضرره إلى

---

[1] مزاري توفيق، المرجع السابق، ص 237،301 ؛ عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، ط1، دارالهدى 1983، ص277، محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص172.

[2] بعيزيق صالح، المرجع السابق، ص320.

[3] بعيزيق صالح،المرجع السابق، ص321.

[4] برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن 13الى نهاية القرن 15م نقله للعربية حمادي الساحلي، ج1،ط1 ، بيروت ،1988 ص96 .

ميناء بجاية ففي سنة 643هـ/1245م، في عهد السلطان أبي زكرياء قام الجنويون بحجز سفينة بيزية كانت ترسو بميناء بجاية ردا على البيزيين الذين اختطفوا سفينة جنوية وإحراق مراكب أخرى تابعة لبيزة كما ألحقوا الضرر برعاياهم المقيمين ببجاية،[1] هذا الأمر أزعج السلطان الحفصي والذي لم يجدد اتفاقه مع جنوة رغم انقضاء مدة الاتفاقية سنة 633هـ/1236م[2] وتذكر بعض المصادر أن جنوة كانت من حين لآخر تشارك في شن الهجمات على سواحل شمال أفريقيا وهذا ما كان يعكر مجرى العلاقات التجارية مع موانئ هذه الأخيرة.

- أهم الاتفاقيات :

تاريخ الاتفاق	البنود
633هـ/1236م	عدم التقيد بالمتاجرة فقط مع الموانئ المفروضة عليها أي جنوة بل لها الحرية المطلقة في التجارة مع الموانئ الأخرى،[3] صلاحيتها عشر سنوات.[4]
649هـ/1251م	تجديد معاهدة 633هـ/1236م بعدما مر عليها خمسة سنوات وتمديد المدة لعشر سنوات أخرى[5] وحرية التجارة ببجاية.

[1] برنشفيك، المرجع السابق، ص64،65.

[2] بعيزيق صالح، المرجع السابق، ص322.

[3] برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص57.

[4] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 320.

[5] برنشفيك، المرجع نفسه، ج1، ص 73.

671هـ/1278م	اتفاقية مع جنوة مدتها عشر سنوات.[1]
691هـ/1290م	أبرم عقد تجاري مع جنوة في نقل الحبوب من الشام إلى ميناء تونس وبجاية وكانوا غالبا ما يرسون في ميناء بجاية الحفصية.[2]
786هـ/1385م	تجديد الاتفاقية مع الجنويين ومنح لهم امتيازات أخرى.[3]

2- مع بيزا :

نظرا لامتلاك مدينة بيزا أسطولا تجاريا قويا وصل إلى مائة وخمسين قطعة أهّلها أن تربط علاقات تجارية مع موانئ شمال المغرب الاسلامي ، أما في العهد الحفصي نستطيع القول أن التجارة البيزية ببجاية شهدت نشاطا أوسع من قبل لا سيما العهد الحفصي الأول عهد الأمير أبي زكرياء يحي الذي منح امتيازات للبيزيين في مدن أفريقية،[4] وهذا بعد سقوط الدولة الموحدية لكن الإضطرابات والتوترات عرفت طريقها نحو العلاقات البجائية البيزية في منتصف القرن 8هـ/14م وسببها كالعادة مشاركة بيزا في العدوان والإغارات على سواحل الحفصيين كانت نتيجتها تعطيل المسار التجاري بينها وبين بجاية ولم تتمكن من ابرام معاهدات إلا في سنة 800هـ/1397م في عهد السلطان أبي فارس بعدما أكدت التزامها أمام شروط المعاهدة التي تنص على مقاومة القرصنة ومعاقبة القراصنة من اجل المحافظة على الأمن والسلام بين الطرفين،[5] أما القرن 9هـ/15م شهد قفزة نوعية في وضعية مدينة بيزا فقد آلت لحكم مدينة فلورنسا عام 812هـ/1409م من جهة ومن جهة أخرى صعود قوة

---

[1] برنشفيك، المرجع السابق ، ص96.

[2] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 215.

[3] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص216

4 نواري توفيق، المرجع السابق، ص 303.

[5] بعيزيق صالح، المرجع السابق، ص323،325 ؛ غزاوي أحمد، العلاقات التجارية بين العالمين الاسلامي والمسيحي ، ج3، ص20، 12.

بحرية تجارية سيطرت على الحركة التجارية مع مدينة بجاية وهي مدينة البندقية حيث أصبح البيزيون يتاجرون باسم فلورنسا وقاموا سنة 817هـ/1414م بتجديد اتفاقية سلمية بينهم وبين الحفصيين التي عقدت سنة 800هـ/1397م[1]وبهذا الوضع تنتهي الهيمنة البحرية لبيزا وتحل مكانها هيمنة فلورنسا.

-أهم العراقيل :

- الحروب الصليبية هذا العامل أدى إلى مغادرة تجار بيزا مدينة بجاية لكن عادت الأوضاع لتهدأ من جديد تعيين القس "جافيرو" عميد الكنيسة أهل بيزا في بجاية.[2]

- شهدت في كل من سنة 720هـ/1317م وسنة 767هـ/1364م وسنة 769هـ/1366 وسنة 781هـ/1378م استمرار العلاقات بين بيزا وبجاية اتسمت بإبرام اتفاقيات ومعاهدات وتبادل السفارات، لكن الوضع لم يستمر طويلا بسبب سقوط بيزا في يد فلورنسا عام 812هـ/1409م[3] وكانت بجاية وعلى موانئها تزن الجمارك السلع بقدر الوحدات الخاصة ببجاية وهي وحدة الفلقة وكان الجمارك يسهرون على توحيد القياسات الأوربية مع قياسات بجاية.[4]

- أهم الاتفاقيات :

الاتفاق	البنود
631هـ/1234م	اتفاقية تجارة وسلم مع الأمير أبي زكرياء الحفصي وصلاحيتها تدوم ثلاثين سنة.[5]

[1] ا غزاوي أحمد المرجع السابق، ص 21،28.

2. عيساني جميل وفائريان دومينيك، العلاقات بين مدينتي بيزا وبجاية في العصور الوسطى، مساهمة حاسمة في بناء الانتماء للمتوسط، بجاية مركز إشعاع للمعرفة، وزارة الثقافة، الجزائر 2008، ص43،42.

3 عيساني ودومينيك، المرجع السابق، ص43.

4المرجع نفسه، ص 43،44.

[5] برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 56،57.

662هـ/1264م	تجديد معاهدة 631هـ/1234م وتمديد المدة لعشرين سنة وكذا حرية التجارة في بجاية.[1]
713هـ/1313م	عقد صلح وهدنة مدتها عشرة سنوات مع بيزا.
745هـ/1353م	عقد صلح مدته عشر سنوات مع بيزا.[2]
800هـ/1397م	تضمن هذا العقد 28 بندا: - توفير الأمن لتجار بيزا في كل المدن الحفصية من بينها بجاية. - بناء فنادق خاصة بالبيزيين للإقامة فيها وخزن بضائعهم في الموانئ الحفصية. - للقنصل الحرية في التدخل في شؤون رعاياه وله التفويض المطلق في الاتصال بالسلطان الحفصي مرتين في الشهر. - محاربة القرصنة من الطرفين. - إعفاء تجار بيزا من أداء الضريبة التي تخص صادراتهم من الذهب والفضة والأحجار الكريمة بدفع ½ العشر فقط.
817هـ/1414م	تجديد اتفاقية سنة 800هـ/1397م

3- مع فلورنسا:

لم تذكر المصادر وجود علاقات تجارية بين بجاية وفلورنسا إلا في العهد الحفصي وبالضبط في بداية القرن 9هـ/15م فبعدما سيطرت فلورنسا على بيزا آلت هذه الأخيرة لحكمها وتبعيتها

[1] بعيزيق صالح، المرجع السابق، ص 321.

[2] ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي،(524-936هـ/1130-1529م) ، دار المعارف 1405هـ/1985م، ص 210.

الاقتصادية سنة 807هـ/1406م،[1] أما برنشفيك كان سقوط بيزا بين يدي فلورنسا في 812هـ/1409م سارعت فلورنسا إلى عقد اتفاقيات تجارة مع حواضر الدولة الحفصية ومنها بجاية، بعدما تمكنت من بسط نفوذها على كامل ممتلكات بيزا، فجددت اتفاقية 817هـ/1414م نصت هذه الاتفاقية على شروط من بينها توفير الأمن والأمان بين الطرفين وأن يكون لهم فنادق ويكون لهم قيصر في سائر البلاد الحفصية كما وضعت الدولة الحفصية نصف من الضريبة على بعض المواد كالأحجار الكريمة (الجوهر، الزمرد، الياقوت، الفضة والذهب) وأن يكون الترجمان في كل صفقة وبيعة حاضرا ويدفع له خمسة دراهم سكية لكل مائة دينار سكية عشرية الصرف وغيرها من شروط التي وصلت إلى الثمانية وعشرون شرط .

وفي سنة 849هـ/1443م تم الاتفاق بين الدولة الحفصية وفلورنسا على حماية الرعايا الفلورنسيين داخل مدن الدولة الحفصية ،بالإضافةالى القضاء ومحاربة القرصنة التي تهدد السواحل الحفصية لضمان سلامة المسافرين على أجفان الفلورنسيين ومنح صاحب الديوان صلاحيات أوسع لفض النزاعات والخلافات في المرسى وللقنصل الذي يتعين بحضرة من الحواضر الحفصية له، أن يتدخل إلى السلطان مرتين في كل شهر لإتمام وقضاء

حوائجه وأن تكون فنادق الفلورنسيين فيها فرن وكنيسة ولا يشاركهم أحد من غير جنسهم في فنادقهم.[2]

شهد نهاية القرن 9هـ/15م تحولا كبيرا في العلاقات التجارية بين بجاية وفلورنسا اتسمت بوجه فيه عداء بحيث قامت فلورنسا بتأسيس خط بحري سنة 862-863هـ/1458م تؤمنه سفينتان تمران من جنوة ثم تتوجهان نحو الموانئ الحفصية فاتخذوا إجباريا ميناء بجاية للتوقف فيه فحددوا لكل مدينة مدة للتوقف فيها منها بجاية، بونة أقل من3 أيام تونس 12

[1] غزاوي أحمد، المرجع السابق، ج3، ص29،36.

[2] غزاوي أحمد، المرجع السابق، ج3، ص43،37.

يوما على الأكثر وتتوجهان السفينتان إلى المغرب الأقصى وجنوب إسبانيا.[1]

أهم الاتفاقيات :

الاتفاق	البنود
800هـ/1397م تجديد اتفاقيتي 817هـ/1414م[3]	تجديد الاتفاقية السابقة لكنها تخللتها بعض البنود الجديدة وهي: - معاملة الفلورنسيين بمستوى معاملة الجنويين - إقحام الثياب رفيعة المستوى ضمن الواردات.[2]

4- مع البندقية:

البندقية مدينة ذات موقع استراتيجي مطلة على البحر المتوسط هذا ما أهلها أن تكون محطة تجارية هامة فقد أبرمت العديد من الاتفاقيات والصفقات التجارية مع المدن المجاورة والأقاليم فبجاية واحدة من هذه المحطات، فالبندقية كان لها نصيب في التعامل التجاري مع بجاية، ففي القرن 4هـ /10م كانت سفنها تجوب السواحل الشمالية لأفريقيا[4]، فقد اشتعلت فرصة الصراع الذي كان قائما بين جنوة وبيزا وعلى إثره وطدت علاقتها مع بجاية مع قيام الدولة الحفصية فوكالاتها التجارية التي أنشأتها بمدينة بجاية[5] أكبر دليل على إقبالها التجاري بالمدينة كما كانت شواني البندقية [6]واسطة لنقل البضائع والأشخاص إلى ميناء بجاية من المشرق وبلاد الهند والصين حسب ما جاء عند صاحب الإستبصار : " ... وهي مربي عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من

---

[1] بعيزيق صالح، المرجع السابق، ص330؛ برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص293 .

[2] برنشفيك، المرجع نفسه، ج1، ص37،43.

[3] أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2، ص21،36.

[4] مزاري توفيق، المرجع السابق، ص204.

[5] صالح أبو دياك، مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع الى القرن الثامن، ص 227.

[6] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 204.

الإسكندرية بطرف مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها ..."[1] وعليه شكلت البندقية همزة وصل بين بجاية والحواضر الأخرى، إذ أنشأت خطا بحريا سنة 841هـ / 1437م يمر على صقلية ثم تونس ومن بعده الموانئ المغربية وجنوب إسبانيا.[2]

أنشأت خطا تجاريا "مودا ديل ترافيقو " MudadelTrafego"يعني خط التبادل التجاري البحري سنة 864هـ / 1460م من خلاله كانت تصل بضائع من الإسكندرية إلى مدن أفريقية وليس فقط السلع حتى حمل الحجاج والمسافرين على متن سفن البندقية إلى المناطق المرجوة الوصول إليها فشهد ميناء بجاية حركة تجارية نشطة مثلتها البندقية، ففي سنة 836هـ / 1432م كانت تصل إلى الميناء سفينتين[3]

لكن بعدما انشأت البندقية وكالة بحرية سنة 840هـ/1436م[4] كثفت من عدد سفنها أصبحت ثلاث شواني محملة بالبضائع الخاصة بالمغاربة نحو مصر،[5] كما كانت تنقل من الموانئ الافريقية لا سيما من بجاية الفراء والمرجان من مرسى الخرز والبرانس إلى الإسكندرية ونقلت أيضا كميات كبيرة من الذهب من موانئ شمال أفريقيا،[6] حافظت البندقية على مكانتها التجارية مع بجاية لسنوات لا سيما وهي مسيطرة على خط تجاري قوي كخط "مودا ديل ترافيقوا" إلى غاية القرن 9هـ/15م الذي شهدت فيه عراقيل تجارية عديدة مثل الحرب بينها وبين العثمانيين سنة 868-885هـ/1469-1479م،[7] كما تعرضت سفنها إلى هجمات القراصنة، أما الاحتلال الإسباني لسواحل المغرب الأقصى والأوسط كان له أثر كبير على وضع التجارة البندقية بسواحل المغرب إذ عطلت التجارة وانقطع الوجود البندقي

---

[1] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص130

2 بعيزيق صالح، المرجع السابق، ص329

[3] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 218.

[4] برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص281،282.

[5] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 218.

[6] المرجع نفسه، ص 213 ،212 .

[7] المرجع نفسه، ص 219 .

بعدما شن الإسبان هجمات ضد سفنهم،[1] وبذلك تغيرت الأوضاع في نهاية القرن 9هـ/15م على الصعيد الداخلي والخارجي في شمال أفريقيا وفي أوربا والمشرق العربي.

ثانيا :مع شبه الجزيرة الاييرية :

1- مع الممالك المسيحية:

برزت العلاقات التجارية البجائية مع الممالك المسيحية خلال القرن 7هـ/13م وبداية القرن 8هـ/14م ومن أبرز الممالك التي تولت شؤون التجارة البحرية المسيحية نجد كل من قطالونية التي نافست المدن الإيطالية فقد ارتفع التعامل مع بجاية من 12 ألفا إلى 24 ألف دينار[2].وقد كثف القطالونيون اهتمامهم وتعاملهم مع بجاية وهذا راجع إلى أهميتها كمحطة مركزية رئيسية على سواحل المغرب الإسلامي.

أبرمت عدة معاهدات بين بجاية وقطالونيا وأول معاهدة كانت في 05 رجب 669هـ/17 فيفري 1271م وتواصلت الاتفاقيات التجارية إلى غاية سنة 723هـ/1323م ثم بعدها شهدت حركة متذبذبة اتسمت بالمد والجزر سنة 727هـ/1327م،[3] تواصلت إلى غاية 840هـ/1436م وهذا بسبب مسألة مالية بينهما تمثلت في إبرام صفقة بين الطرف الأرغوني والدولة الحفصية نص على طلب الحفصيين من الأرغونيين أن يمدوهم بالدعم العسكري من أجل صد التهديدات المتكررة على حواضر الدولة الحفصية منها بجاية من طرف بني عبد الواد مقابل دفع مبالغ مالية كانت على بجاية ما قبل، لكن ههذ الاتفاقية لم تتم بسبب استبدال أرغون تونس بتلمسان هذه الأخيرة مدتهم بمبالغ مالية مرتفعة مقابل توفير حصانة

[1] صالح بعيزيق، المرجع السابق ، ص330.

[2] ابتسام مرعي خلف الله، المرجع السابق، ص270.

[3] بعيزيق صالح، المرجع السابق، ص304،305 .

عسكرية لها،[1] هذا الأمر عكّر صفو العلاقة بين أرغون وبجاية إذ نتج عنه تصادمات كثيرة لاسيما أن وضع بجاية كان متأرجحا ما بين الإنفصال والاتصال عن الحفصيين بالإضافة إلى السيطرة المرينية ,اضافها بجاية إلى ممتلكاتها ثم الرجوع مرة أخرى إلى الحكم الحفصي كل هذه العوامل عطلت التجارة بين أرغون وبجاية وحتى العلاقات الدبلوماسية بينهما بالإضافة إلى عامل القرصنة الذي بات يهدد من ميناء بجاية وقضية الأخرى والمعاملة السيئة لهم،[2] لكن في نفس الوقت تجلت محاولات الإصلاح والرجوع إلى إقامة علاقات طيبة وحسنة بين الطرفين كانت متواصلة بينهما لكن في كل مرة تفشل هذه المبادرات من طرف "ألفونسو السابع" وسلاطين الدولة الحفصية ففي سنة 845هـ/1450م أبرم اتفاق بينهما ينص على الهدنة،[3] فاتسمت بعد ذلك بالهدوء إلى النصف الأول من القرن 9هـ/15م هذه الفترة غيرت من خارطة التجارة البحرية إذ انقسمت الممالك المسيحية إلى قسمين، القسم الأول ضم نابولي والقسم الثاني صقلية وأرغون[4] هذا الوضع عمل على تدهورها أكثر في المجال التجاري الخارجي نشبت على إثره حرب أهلية ببرشلونة أدت إلى أزمة اقتصادية عرفت من خلالها انخفاضا في الإنتاج وارتفاع نسبة البطالة وتعطيل حركتها التجارية الخارجية لاسيما مع بجاية[5].

تأزمت الأوضاع الاقتصادية منتصف القرن 9هـ/15م وكان سببها اختلال التوازن السياسي والدبلوماسي بين الجانب الإسباني والجانب الحفصي ما أدى إلى هيمنة الممالك

---

[1] برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 185.

[2] بعيزيق صالح المرجع السابق، ص313،314.

[3] برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 281.

[4] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص259، صالح بعيزيق، المرجع نفسه، ص 315.

[5] لطفي بن ميلاد، المرجع نفسه، ص258، صالح بعيزيق، نفسه، ص315.

المسيحية على السواحل وموانئ بلاد المغرب الإسلامي حيث أفرز نتائج سلبية منها الإحتلال الإسباني لبجاية سنة 915هـ/1510م وبالرغم من تزاحم الميارقة الذين أبرموا العديد من الاتفاقيات مع بجاية،[1] المتاجرة في البحر المتوسط مع الإسبان إلا أنهم استطاعوا أن يسيطروا على المتاجرة البحرية المتوسطية.

-أهم الاتفاقيات :

الأطراف وتاريخ الاتفاق	البنود
بجاية الحفصية و كاتالونيا 669هـ/1271م	حفظ أمن التجارة المتوسطية والمتاجرة بأمان في ميناء بجاية وموانئ أخرى ونصت على أن تستمر صلاحية المعاهدة لمدة عشر سنوات.
بجاية المستقلة وأراغون 708هـ/1309م	- توفير الأمن والاستقرار لرعايا أراغون ببجاية. - إعفاء تجار كتالونيا من الضرائب على الواردات بنسبة50 %. - تبادل الأسرى بين أراغون وبجاية. - هذه الاتفاقية سارية المفعول لمدة خمس سنوات.[2]

[1] صالح بعيزيق، المرجع السابق ص305،306.

[2] المرجع نفسه، ص305

بجاية المستقلة وأراغون 712هـ/1312م	- تجديد مفعول معاهدة708هـ/1309م تضمنت نفس البنود إلا بندا واحدا وهو المتعلق بالأمن والإستقرار بين الطرفين فلم يستمر بسبب القرصنة بينهما.
بجاية المستقلة وأراغون 714هـ/1314م	أرسل "خايم الثاني" ملك كاتالوني برسالتين إلى بجاية الأولى فيها أن القرصنة الأرغونية متواصلة أما الثانية جاء فيها عن القرصنة البجائيةوالأرغونية ومطالبته من الأمير الحفصي أبي بكر بدفع 1000 دينار ذهبي كضريبة لمدة خمس سنوات، ورد الأمير أبا بكر الحفصي على رسالة خايم الثاني فيها تهديد متمثل في إلغاء المعاهدة الأخيرة بينهما.
بجاية المستقلة وأراغون 715-716هـ/1315-1316م	أرسل خايم الثاني إلى الأمير أبي بكر الحفصي رسالة فيها أن قراصنة بجاية أسروا برشلونيين كما وضح له الوضع المهين لتجار أراغون في بجاية.
بجاية الحفصية وأراغون 723هـ/1323م	- عقد صلح بين الطرفين لمدة أربع سنوات وكانت المبادرة الأولى للصلح من طرف الأمير الحفصي أبا بكر. - قبول أبا بكر بدفع الأموال التي فرضتها أراغون من قبل لكنه تراجع ولم يدفع شيئا.

بجاية الحفصية وأراغون 761هـ/1360م	فرضت فيها أراغون على حواضر الدولة الحفصية إتاوات سنوية كانت قيمتها 2000 دينار ذهبي. مدة فعاليتها عشر سنوات.[1]

بجاية الحفصية وأراغون 805هـ/1408م	الإتفاقية بينهما جاءت فيها إطلاق سراح الأسرى المسيحيين مقابل فدية ولم يأت ذكر مسألة الإتاوة[2]
بجايةالحفصية و كاتالونيا 847-850هـ/1444-1446م وسنة854هـ/1450	- تبادل الأسرى. - تنظيم الطرق والمواصلات التجارية،[3] لكن لم تطبق هذه المعاهدة بسبب تعكر العلاقات. - إبرام هدنة وتبادل السفارات.[4]
بجاية الحفصية وبرشلونة 878هـ/1473	تنص على إعادة سلع وبضائع تجار الكاتالانيين المحجوزة بميناء بجاية. طلب من حكام بجاية بأخذ هذا الطلب بعين الاعتبار لأن لهم نية العودة للاتجار مع تجار بجاية.[5]

[1] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص306،311.

[2] صالح بعيزيق، المرجع السابق ، ص306،311.

[3] برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص280.

[4] صالح بعزيق ، المرجع السابق ،ص315.

[5] المرجع نفسه ، ص315.

2- مع بلاد الأندلس:

حظا ميناء بجاية بإقبال كبير للتجار الأندلسيين من معظم حواضر الأندلس قصد الإتجار وتسويق بضائعهم ويرجع سبب وجود الأندلس المكثف في ميناء بجاية إلى جذور تاريخية قديمة منذ الفتح الإسلامي وارتباط العدوتين بهذا الفتح إلى جانب قرب المسافة بينهما فهذا كله أو أكثر منح التجار الأندلسيين مكانة واسعة في النشاط التجاري بالمغرب الإسلامي عامة وبجاية خاصة بدايته كانت فيا لعهد الحمادي فقد ازدهرت الملاحة بين ميناء بجاية وموانئ الأندلس.[1]

ازدهرت التجارة بينهما بسبب الخطوط التجارية التي كانت، إذ يذكر المقدسي أنه تنوعت الاتصالات التجارية بين المدن المغربية والأفريقية والاندلس فيقول..."به (أي المغرب) تجارات وتحمل من برقة ثياب الصوف والأكسيةومن صقلية الثياب المقصورة الجديدة ومن أفريقية الزيت والفستق والزعفران والمزواد والأنطاع، ومن فاس التمور وجميع ما ذكرنا ومن الأندلس بز كثير وخصائص وعجائب"[2]

كما صدرت بلاد الأندلس إلى حواضر المغرب الإسلامي وبجاية واحدة من المعدن الذي كان يصنع منه الأسلحة لظروف الحرب واللوز والقطن والزعفران، كما ذكر عبد الرحمان بن خلدون أنه كانت تجلب من الأندلس الثياب الحريرية التي انفرد بها السلاطين وحكام بجاية[3].

وبهذا نصل إلى قول أن العنصر الأندلسي لم يقتصر وجوده على بجاية كتجار فقط بل

---

[1] إسماعيل العربي، العمران والنشاط الإقتصادي في الجزائر في العصر الحمادي، مجلة الأصالة (عدد خاص ببجاية عبر العصور)، وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية 1974، العدد19، ص 343.

[2] المقدسي (محمد بن أحمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص28،27 ؛ **ويقصد بالمزواد:** هو المزود يصنع من جلد الماعز يوضع فيه الأكل والماء ويصبح قربة ماء، أما **الأنطاع:** جمع نطع وهو بساط من الجلد، ينظر: توفيق مزاري، المرجع السابق، ص 267،266.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص725.

كانت لهم وجود أقوى في السلطة السياسية ومن أهم فئاته.

ثالثا : مع امارات وممالك البحر الابيض المتوسط :

1- مع قبرص:

شهد ميناء بجاية ولوج العديد من التجار من مختلف الجنسيات كالقبارصة الذين كانوا يصدرون منتوجاتهم إلى ميناء بجاية مثل المجوهرات الثمينة "العناقيد الذهبية" وهذا عن طريق السفن التي كانت تصل من جنوة مرورا بمرسيليا، سبتة، وهران،، بجاية، تونس، صقلية،الإسكندرية وأيضا خط بحري الذي كان من البندقية ويمر على صقلية ثم تونس ومن بعده بالموانئ المغربية وجنوب إسبانيا.[1]

2- مع مرسيليا:

عرفت بجاية تواجدا كبيرا لتجار مرسيليا فكانت لهم امتيازات تجارية خاصة بهم ففي أواخر العهد الموحدي سنة 606هـ-607هـ/1210م أبرم تاجر مرسيلي يدعى "إيتيان دي مانديل" صفقة تجارية مع تجار بجاية[2] ومن بعدها سنة 608هـ/1211م نالت مرسيليا حق إرساء سفنها بمرسى بجاية بالإضافة إلى تخفيض نسبة الرسوم الجمركية ما بين 5 و8 % خلال القرنين 6-8هـ/12-14م[3] فتواصل المد التجاري بين بجاية ومرسيليا ليشمل عدة اتفاقيات ومعاهدات وامتيازات تجارية تمثلت في حماية مباشرة لقنصل مرسيليا في بجاية تحديد بعض السلع في المتاجر بها ببجاية وإعطائها الأولوية والصدارة تكشف صفقات تجارية مع كبريات

[1] بعيزيق صالح، المرجع السابق، ص329.

[2] المرجع نفسه، ص332.

[3] محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بجاية، 1-12 ربيع الأول 1394هـ/ 25مارس إلى 15 أبريل 1974م، منشورات وزارة الشؤون الدينية، ص574،573.

عائلات مرسيليا،[1] بناء فنادق ووكالات تجارية خاصة بمرسيليا كما استفاد تجار مرسيليا من قروض ما يسمى بالقرض البحري وهو تحمل صاحب البضاعة الخسائر والتكاليف الناجمة عن غرق أو سرقة بضاعته [2]كما استخدموا التقاضي بينهما Acredit وبيع سلعهم في المزاد العلني الذي كان يقام إما بالفنادق الخاصة بمرسيليا أو المراكز التجارية الواقعة على مرسى بجاية، [3] كل هذا وأكثر استفاد منه تجار مرسيليا.

لكن الوضع لم يستمر بل علاقتهما التجارية تخللتها موجة من التوتر والغياب بسبب عدة عراقيل منها :

المرض الخطير الذي تمكن من كل السفن التجارية في أواخر القرن 8هـ/14م وهو حركة القرصنة فكان لمرسيليا قراصنة وقضية الأسرى والعبيد عملوا على تصعيد وتفجير التوتر الذي عرفته العلاقات التجارية بين بجاية ومرسيليا وصل بها إلى انقطاع استمر إلى غاية الثلث الأخير من القرن 9هـ/15م هذا الأخير شهد عودة جديدة للعلاقات بين بجاية ومرسيليا كان التاجر بيار بابلو طرفا فيها سنة 880هـ/1475م[4]، وبهذا استأنفت العلاقات لكنها لن تستمر طويلا وهذا بسبب احتلال الإسبان لبجاية سنة 916هـ/1510م.

- **أهم الاتفاقيات :**

[1] صالح أبو دياك، المرجع السابق، ص 228 .

[2] المرجع نفسه، ص 228.

[3] المرجع نفسه، ص 229.

[4] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص335،336 .

تاريخ الاتفاق	البنود
625هـ/1228م	- اتفاقية سلم وتجارة - بيع للخمر في بجاية ويتولى هذه المتاجرة تجارة مرسيليا - حماية قنصلية مرسيليا ببجاية.
646-692هـ/1248-1293م	خلال هذه السنوات تمتعت مرسيليا بمجموعة من الامتيازات منها: - رسو سفنها بميناء بجاية. - عقود وصفقات تجارية استفادت منها أهم عائلات مرسيليا والتي استمرت أموالها ببجاية كبناء الفنادق وغيرها. - أدرجت مدينة بجاية ضمن قانون مرسيليا الذي ينص على اعتبارها من بين أهم المدن التي تتواجد فيها قنصلياتهم.[1]

لم تستمر العلاقات التجارية بين بجاية ومرسيليا طويلا وهذا بسبب عائق تكرر مع كل الجمهوريات والمدن الأوربية وهو القرصنة البحرية فقراصنة مرسيليا شنوا هجوما على موانئ شمال أفريقيا ما أزّم الوضع فساء الأمر بينهم وبين التجارة البجائية .

[1] صالح بعيزيق، المرجع السابق ، ص333.

3- مع بلاد المشرق الإسلامي:

مرسى بجاية تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن...[1] أما المقديسي يذكر أن البجائيين كانوا يجالسون تجارا أهلها يجالسون تجار المشرق" والمشرق الإسلامي لكون بجاية محطة تجارية هامة وتزخر بتنوع الإنتاج الفلاحي والصناعي مثل الشمع وفرو الأغنام والجلود هذه السلع وغيرها تنقل عبر السفن الجنوية والبندقية كانتا تقومان بمكانة الوساطة التجارية وهمزة وصل بين ميناء بجاية وموانئ المشرق الإسلامي كميناء الإسكندرية إذ يذكر لنا ابن الجبير أنه خرجت من ميناء مدينة صور سفينة فرنجية متوجهة إلى ميناء بجاية سنة 580هـ/1184م والغبريني يؤكد على الوساطة التجارية النصرانية، إذ قدم من بلاد الشام مركبا نصرانيا إلى ميناء بجاية،[2] كما تواصلت العلاقات البحرية التجارية بين بجاية والمشرق إلى بداية القرن 9هـ/15م ففي سنة 788هـ/1386م ربط بجاية بالإسكندرية خط بحري يبدأ مساره من إسبانيا ووهران وبجاية ثم الإسكندرية، فميناء هذه الأخيرة كان يستضيف عددا كبيرا من البربر ومن جربة وغيرها من البلدان،[3] أما مصر توافد عليها عدد كبير من البربر هؤلاء الذين جلبوا البضائع والسلع المشرقية إلى مدنهم كالقطن وقصب السكر والزعفران،[4] هذه الروابط التجارية التي ربطت بين مدينة بجاية والمدن المشرقية كان لها بصمات مختلفة لا سيما على الصعيد الإجتماعي كالمصاهرة وتوسع المدينة بسبب دخول تركيبات جديدة إليها وبالتالي تشيد عمارة خاصة بهم أدى إلى التوسع العمراني بسبب التعمير البشري المتدفق

---

[1] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص130.

[2] الغبريني، عنوان الدراية، ص 89.

[3] حسن الوزان، وصف أفريقيا، ج2، ص194.

[4] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 227.

على المدينة وصدرت بلدان شمال أفريقية المنسوجات الصوفية إلى المشارقة.[1]

المبحث الثالث: طبيعة المبادلات التجارية مع بجاية الحفصية:

يمثل هذا المجال القوة الاقتصادية الكبرى لأي حاضرة فمرسى بجاية خاصة في العهد الحفصي عرف حركة نشيطة في التبادلات التجارية حيث كانت السفن مشحونة بالسلع إما قاصدة مرساه أو المغادرة منه، حسب ذكر صاحب الاستبصار": مرسى بجاية عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر واليمن والهند والصين وغيرها"[2] والعملة أو السكة من آليات التبادل التجاري بين الدول وكانت تتم التبادلات وفق قوانين الدولة المتاجرة فيها.

ولإنعاش أكثر المناخ الاقتصادي صدرت بجاية مختلف المنتوجات إلى الأقاليم المجاورة، فالإدريسي يذكر أن أهل بجاية يجالسون تجار المشرق والمغرب الأقصى وتجار الصحراء وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة"،[3] فقول الإدريسي دليل على الديناميكية الكبيرة التي يشهدها القطاع التجاري ببجاية وما ساعدها في ذلك وجو الأمن والاستقرار الداخلي.

من بين صادرات بجاية نجد في الصدارة الأولى المواد الفلاحية والحيوانية ثم المواد الصناعية هذا الترتيب جاء وفق الميول الكبيرة لسكان بجاية للميدان الفلاحي أكثر منه الصناعي.

---

[1] مزاري توفيق، المرجع السابق، ص 289.

[2] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص130 .

[3] الإدريسي، المصدر السابق، م1، ص260.

1- الصادرات:

أ- **المواد الفلاحية والحيوانية:** صدّر سكان بجاية الحبوب من قمح وشعير وحنطة وغيرها إلى كثير من البلاد خارج حدودها وسبب توفرها على طاقة واسعة لهذا الإنتاج هو أنها تحوي على بوادي ومزارع للحنطة والشعير بكثرة،[1] ومن أهم صادرات بجاية الأخرى الزيتون فوائده لا تنحصر في الغذاء فقط فزيته يعتبر من ضمن المواد الأساسية في الصناعة التجميلية كصناعة الصابون.[2]

وتأتي الفواكه في قائمة صادرات البجائيين التي كانت موجودة بكثرة حسب قول الإدريسي حين يذكر..."والتين وسائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد"،[3] ومن بين الفواكه التي صدرت الموز والخروب والتمور والزبيب فبجاية كانت تزخر بكثرة المنايا والبساتين الغنية بهذا الإنتاج.

إلى جانب هذا كله اهتم البجائيون تصدير النباتات الطبية التي انتشر وجودها بغابات وجبال بجاية، فنبتة "كف النسر" scolopendre مثلا ونبات بالسقولو فندريونBerberies والشيح Obsinthe والقنب والنجمة الكبرى وغيرها،[4] هذه النباتات أثرت الصيدلة والصناعة الطبية للدول المجاورة في الوصول إلى علاجات للعديد من الأمراض.

أما المواد الحيوانية التي تم تصديرها إلى الخارج فممثلة في الجلود والصوف والفرو، بحكم بجاية حاضرة إسلامية تتمتع بالأعياد والمناسبات الدينية كالعيد الأضحى وعاشوراء والأعراس والطهور والمولد النبوي الشريف هذه الأعياد يتم فيها ذبح الذبائح فتتوفر بالتالي

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، م1، ص260.

[2] ابتسام مرعي خلف الله، المرجع السابق، ص311.

[3] الإدريسي، المصدر،المرجع نفسه، م1، ص 260

[4] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 267،287.

مادة خام من صوف وجلود وفرو، هذا الفائض كان لابد من تصريفه إلى خارج المدينة عبر تصديره، حيث تسابق الأوربيون حول جلود وفرو أغنام بجاية لجودتها، فبجاية احتلت المرتبة الأولى في تصدير أنواع الصوف إلى الجمهوريات الإيطالية ومرسيليا وإسبانيا.[1]

ولم تتميز بجاية بجلودها فقط بل كثر الطلب على مادة انفردت بها وهي مادة الدباغة التي تستخرج من حشرة تعطي لونا قرمزي أرجواني.[2]

ب- المواد الصناعية: جاء عند ابن حوقل والإدريسي عن معدن الحديد المتواجد ببجاية والذي كان يصدر إلى الخارج وليس فقط الحديد بل صدر أيضا الزفت والقطران والزئبق والنحاس الذي كان يستخرج من جبال كتامة،[3] والزجاج والخشب هذه المادة المتوفرة بكثرة ببجاية ما أهّل أن تكون لها دور لصناعة السفن والمراكب وصناعة الأبواب والنوافذ وحتى الأواني.

عرفت بجاية باسم Bougie دلالة على الشمعة نظرا لتوفر الشمع بها والذي كانت تصدره للخارج فكانت المزود الرئيسي لهذه المادة ، وصدرت أيضا الملح إلى السودان وأوربا والذهب المجلوب من السودان الغربي إلى أوربا والفضة المجلوبة من أوربا إلى السودان فهذا المعدن كان نادرا عندهم لذلك كان تجار المغرب الإسلامي يبدلون الفضة بالذهب لأن الفضة في بلاد السودان كانت أغلى من الذهب في بعض الأحيان.[4] أما في ما يخص مواد أخرى صدرتها بجاية نجد المنتوجات الخزفية والفخارية إلى جنوة والأقمشة والملابس كالشواشي التي تميز بها سوق بجاية فصاحب الإستبصار يصف لنا هذه العمائم فيقول":وكانت ملوك

---

[1] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص342،343.

[2] المرجع نفسه، ص 344.

[3] صالح أبو دياك، المرجع السابق، ص 223.

[4] صالح بعيزيق، رحلة ابن بطوطة والتاريخ الإقتصادي لبلاد المغرب وبلاد السودان والمشرق في النصف الأول من القرن 8 هـ/14م"، المجلة التونسية للعلوم الإجتماعية، العدد 139، السنة 47، تونس 2010، ص 69.

صنهاجة عمائم شرب مذهبة يغلون في أثمانها تساوي العمامة 500 دينار و600 دينار وأزيد وكانوا يعممونها بأتقن صنعة فتأتي تيجانا.. "[1]

2- الواردات:

استوردت بجاية مواد الصباغة التي كانت تجارتها حكارا على اليهود لأهميتها في صنع الثياب وحتى الصناعة التجميلية والطبية، فالإسكندرية صدرت إلى بجاية الشب المجلوب من الهند والنيلة والمصطكى أيضا، أما التوابل فعرف ميناء بجاية أنواعا مختلفة منها الفلفل والزعفران والزنجبيل وجوز الطيب والقرنفل والقرفة (الدار الصيني) ونبتة السقمونية scammonée ومادة اللاك قادمة من آسيا الشرقية وبلاد الشام.[2]

القطن من بين المواد التي تم استيرادها بكميات كبيرة إلى بجاية آتية من موانئ مشرقية عن طريق وسطاء جنويين ومن بلاد الشام عن طريق البنادقة حيث عقدت بجاية عدة صفقات تجارية مع جنوة تضمن إرسال القطن إليها.[3]

ومن أهم واردات بجاية الحرير الذي كان يجلب من آسيا الشرقية والكتان من مصر،[4] إلى جانب العطور والعنبر من بلاد الهند وماء الورد من بلاد الفرس عن طريق مدينة صور التي يحمل منها إلى سائر بلاد المغرب الإسلامي،[5] والبخور اليمني كان يصل إلى ميناء بجاية[6] كما تلقت سلعا ثمينة كالأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والفيروز واللؤلؤ التي تزينت بها المرأة البجائية من الطبقة الغنية .

---

[1] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 129.

[2] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص280،281، ابتسام مرعي خلف الله، المرجع السابق، ص 313

[3] صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 348.

[4] صالح بعيزيق، رحلة ابن بطوطة، المرجع السابق، ص.64.

[5] توفيق مزاري، المرجع السابق، ص 290.

[6] لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 284.

لم تنحصر واردات بجاية حول المحاصيل والمنتوجات المختلفة بل تعدت إلى استيراد العبيد والخدام من بلاد السودان مثل مالي وبرنو...الخ فكان تجار بجاية يبدلون الخيول ثم يجلبونهم إلى ميناء أين يتم بيعهم للأوربيين،[1] كما لم تخلو مدينة بجاية من وجود العبيد في البيوت والأسواق فيذكر الغبريني إحدى السوداوات التي كانت تغسل ملابس الأغنياء وكان عندما يراد تحضير قطع البحر للغزو يوظف الخدام والعبيد في تجهيز الأسطول.[2]

وعليه أن التاريخ الإقتصادي لبجاية عرف تنوعا كبيرا في إنتاجه الفلاحي والصناعي وقفزات نوعية في إبرام معاهدات وصفقات تجارية جعلت منه قوة متوسطية يستند إليها كل تاجر ومستثمر في تطوير مشواره الاقتصادي ورفع من مردوده، ولكن برغم ما وصلت إليه بجاية من تطور واحتوائها على أهم المنتوجات المختلفة إلا أنها صادفت مجموعة من العراقيل ذبذبت كيانها الإقتصادي لفترة أهمها:

- وجود حالات غش متكررة في بعض الصنائع المنتشرة في أسواق بجاية.
- جور وبطش بعض المحتسبين ما خلق جوّا مكهربا بين البائع والسلطة.
- سوء معاملة ديوان البحر وأعوانه والمشرفين على الميناء، التجار وفرض في بعض الأوقات مبالغ تعجيزية.

- سوء الأحوال المناخية ما ينتج عنها العواصف ونزول الأمطار الغزيرة وهيجان البحر الذي يعيق مسار السفن التجارية.

- أما القرصنة فكانت تهدد من حين لآخر الحياة الإقتصادية لسواحل شمال أفريقيا بصفة عامة وبجاية بصفة خاصة وعلى إثر هذا تهيأت بجاية للجهاد البحري لتحمي مصالحها

[1] صالح بعيزيق، رحلة ابن بطوطة، المرجع السابق، ص70،.69

[2] أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص ص 199،229.

فكانت أهم قاعدة منذ القرن (6هـ-12م إلى غاية القرن 9هـ-15م).

الخاتمة

كان لبجاية خلال العهد الحفصي دور بارز في تفعيل العلاقات الاقتصادية بين ضفتي البحر الابيض المتوسط وهذا ما أكسبها دورا محوريا وتجلى ذلك في النقاط التالية :

– فمدينة بجاية ليست مجرد منطقة ذات موقع استراتيجي هام فحسب ، بل هي أيضا مدينة تحمل اسما غنيا بالدلالات التاريخية والثقافية ، فقد تنوعت الرويات حول أصل تسميتها ، مما يعكس عمقها الحضاري وتعدد التأثيرات التي عرفتها عبر العصور ، من التأثير الفينيقي الى غاية اليوم .

– كما أن موقعها الجغرافي المتميز ، المطل على البحر الابيض المتوسط والمحاط بالجبال ، جعل منها مركزا حيويا للتجارة والثقافة والتواصل بين الشعوب ، فشيدت القصور وحطت إليها الرحال بغيت التجارة وطلب العلم .

– أماعن علاقاتها الخارجية ضمن مجال المغرب الاسلامي ونخص بالذكر علاقتها بجيرانها كتونس وبني مرين وبني عبد الواد كانت معقدة ومتأرجحة بين التحالف والصراع ، بحسب المصالح السياسية والظروف الإقليمية .

– ورغم التحديات، ظلت بجاية تلعب دورا محوريا في التوازنات الساسية والعسكرية في المنطقة ، مايعكس أهميتها الاستراتيجية ومكانتها في المشهد المغاربي خلال تلك الفترة .

– أما عن امكاناتها الاقتصادية خلال العهد الحفصي كانت قائمة على تنوّع قطاعاتها وتكامل أنشطتها. فقد لعب النشاط الفلاحي دورًا أساسيا في دعم الاستقرار الاقتصادي، بفضل وفرة الأراضي الزراعية ونُظم الري التقليدية وتربية المواشي، التي ساهمت في تلبية حاجات السكان. ومع ذلك، واجه هذا القطاع جملة من العراقيل الخطيرة، أبرزها الحروب التي عطّلت الإنتاج، والجفاف الذي قلّص المردودية، والطاعون الذي أفرغ القرى من ساكنيها وضرب اليد العاملة.

– أما على المستوى الصناعي، فقد تميّزت بجاية بصناعات متنوعة، أهمها النسيج، والدباغة والخشب، إلى جانب صناعة السفن التي استفادت من موقع المدينة البحري ومواردها الطبيعية، مما أضفى على المدينة طابعًا صناعيًا متميزًا في المنطقة المغاربية.

– وفي ما يخص النشاط التجاري داخل المدينة، فقد عرفت بجاية تنظيما اقتصاديا متطورا، بفضل وجود أسواق متخصصة شكلت فضاء حيويا للمبادلات، إلى جانب الفنادق (الخانات) التي وفّرت للتجار أماكن للإقامة وتخزين البضائع، والسكة الحفصية التي أشرفت على مراقبة الأسعار وتنظيم المعاملات وضمان جودة المنتجات.

– وهكذا كانت بجاية الحفصية نموذجًا لمدينة متكاملة اقتصاديًا، تجمع بين الإنتاج الفلاحي، والتطور الصناعي، والتنظيم التجاري، رغم ما واجهته من تحديات طبيعية وسياسية أثرت في بعض الفترات على استقرارها الاقتصادي.

– وفي الختام، يتضح أن التجارة الخارجية كانت أحد أهم العوامل التي ساهمت في ربط بجاية الحفصية بضفتي البحر الأبيض المتوسط، إذ مثلت جسرا للتواصل الاقتصادي والدبلوماسي والثقافي بين الشرق والغرب.

– فقد أقامت بجاية علاقات تجارية وثيقة مع الجمهوريات الإيطالية الكبرى، مثل جنوة وبيزا، توجت بعدة معاهدات ومراسلات تجارية ضمنت حرية التبادل وحماية التجار.

– كما امتدت هذه العلاقات إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، خاصة الممالك الاسبانية مثل مملكة أراغون وقطالونيا، حيث عقدت اتفاقيات تيسر حركة السفن وتبادل السلع .

– ولم تقتصر العلاقات على أوروبا الغربية، بل شملت أيضا ممالك أخرى في حوض المتوسط، مثل قبرص وفلورنسيا، فعرفت هذه الاخير حركة تجارية نشطة ، مع توقيع صفقات ومبادرات ذات طابع تجاري وسياسي في آن واحد .

– بالإضافة إلى معاملاتها التجارية مع بلاد الاندلس وبلاد المشرق الإسلامي، التي تحكمت فيها الحروب الصليبية.

– أما عن طبيعة المبادلات التجارية، فقد تميّزت بتنوّعها، حيث صدّرت بجاية منتجاتها الفلاحية والصناعية مثل الزيت، الصوف، الجلود، الشمع، والصابون، واستوردت بالمقابل سلعًا أوروبية مثل الأقمشة الفاخرة، الأسلحة، والمعادن المصنّعة.

– وهكذا، لم تكن التجارة الخارجية مجرد نشاط اقتصادي، بل شكلت رافعة أساسية في توسيع نفوذ بجاية الحفصية وتعزيز مكانتها في الخريطة التجارية والديبلوماسية للبحر الأبيض المتوسط.

الملاحق

الملحق رقم (1) :

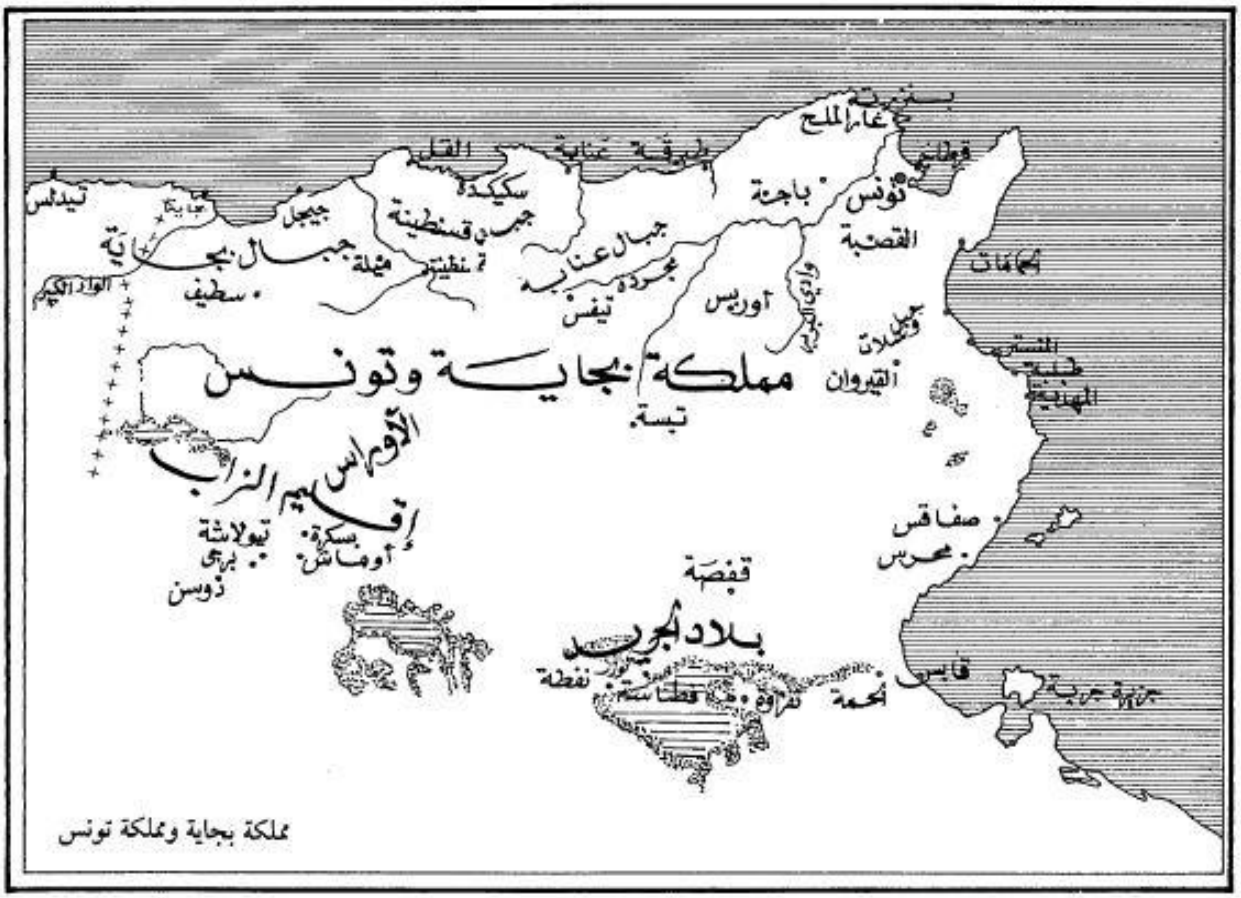

مملكة بجاية وتونس

المصدر : الحسن الوزان ،ج2 ، المصدر السابق ، ص48 .

الملحق رقم (2)

دينار ذهبي مسكوك في عهد الأمير أبو زكريا يحيي، وهو يشبه الدينار الموحدي في اشتماله على مربع، ويبلغ قطر الدينار(29مم)، ووزنه.

المرجع: عادل أنور خضر، المرجع السابق، ص88.

قائمةالمصادر والمراجع

قائمة المصادر :

1- القرآن الكريم

2- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق و تح : هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع، ط1، 1421هـ ، 2001م

3- ابن الخطيب، لسان الدين السليماني(ت776هـ/1374م)أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من الملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام ،ج4 ، تقديم الشريف المريعي ، دارل الامل ، للدراسات والنشر التوزيع،الجزائر،2009م

4- ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تصحيح أدولف فور، الرباط 1958.

5- ابن القطان، أبي محمد حسن بن علي بن ممحمد بن عبد المللك الكتامي ،تح : محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي .

6- ابن جبير،(أبو الحسن محمد بن احمد النبلسي ت614هـ) رحلة ابن جبير، ط1 ، دارالشرق العربي والنشر والتوزيع بيروت 2007

7- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان،(ت808هـ1406/م)، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تع:عادل بن سعد، بيروت، دار الكتب العلمية،ط :1 ، ،2010 مج2.

8- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ،تح :محمد بن تويت ، الدار البيضاء ط1 ،1985،

9- ابن قنفذ القسنطيني(أبو العباسأحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ت810هـ/1407م) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح:محمد الشادلي وعبد المجيد التركي، دار النشر التونسية ، مكتبة الاسكندرية ، 2002

10- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، د.ت.

11- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحي ابن أبي حجلة التلمساني، ديوان ابن أبي حجلة تحقيق ودراسة مجاهد مصطفى بهجت، كنوز للنشر والتوزيع،تلمسان، الجزائر 2011.

12- ابو الفداء عماد الدين اسماعيل(ت:732هـ/1331م)، تقويم البلدان، تص:البارون مك كوكين ديسلان ، د ، ط ، دار صادر ، بيروت ، د ، س .

13- أبو محمد الوليد إسماعيل بن أحمر، تثير الجمان في شعر من نظمي و أيام الزمان، تح: محمد رضوان مارة درس من الداية: الجزائر، المؤسسة الوطنية، طي 1987

14- أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس والمغرب تح محمد حجي، الرباط، المملكة المغربية، 1401هـ ، 1981م، ج6،

15- أبي حمو موسى الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، الجزائر ؛ ابن النديم للنشر ؛ د. ط؛2011

16- أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ، تح : عبد السلام محمد هارون القاهرة ، دار المعارف، ط5، د، س

17- الإدريسي الشريف،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية،د،ط1994،م،ج1 .

18- البيدق أبو بكربن علي الصنهاجي،أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ؛الرباط، دار منصور للطباعة و الوراقة،د،ط، 1971 .

19- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت900هـ1494/م) الروض المعطار في خبر الأقطار تح:إحسان عباس،بيروت، مكتبة لبنان،ط :1 ، 1975.

20- الزركشي، أبي عبد الله بن محمد ،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح :محمد ماضود ، المكتبة العتيقة تونس.

21- العباس بن براهيم السملالي، الأعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام،راجعه:عبد الوهاب بن منصور الرباط، المطبعة الملكية ، ط ،1413هـ ، 1993 ، ج1.

22- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تح : صلاح الدين الهواري ط1 بيروت2007 .

23- علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية الرباط،1972م، 1392هـ.

24- العمري،شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري، مسالك الابصار في ممالك الانصار ، تح: ابراهيم صالح .

25- الغبريني أبو العباس احمد(ت704هـ/1304م)،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تح:رابح بونار ،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،ط: ، 1981.

26- كربخال مارمول،إفريقيا ،تـ ر:أحمد التوفيـ ق، الإسـ كندرية،الجمعية المغربية للتأليف د.ط1989،م،ج 2.

27- المقدسي،(أبو عبد محمد بن احمد المقدسي البشاري) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم،القاهرة ط3 1992

28- المقري أحمد بن محمد التلمساني ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرحيب ، تح:إحسان عباس، بيروت،دار صادر،د،ط،1988،مج 2.

29- مؤلف مجمول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع:سعد زغلول عبد الحميد،العراق،دار الشؤون الثقافية العامة،د،ط،دس،ن.

30- مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح: بوزيان الدراجي، الجزائر، مؤسسة بوزياني للنشر، د.ط، 2013، مج2.

31- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح : عبد القادر بوباية، الرباط، دار أبي الرقراق، ط1، 2005.

32- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا،بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط،19832 :م،ج 2.

33- الونشريسي، أحمد بن يحي الونشريس، المعيار المعرب والجامع المغرب (ت914هـ) المغرب 1981، ج10

34- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمَوي (ت574 – 626هـ) معجم البلدان ، ج1،دار الغرب الاسلامي ط1، 1993 بيروت

35- اليعقوبي (ت897هـ)، كتب البلدان النجف، المكتبة المرتضية، النشر 1918.

المـــراجـــــع:

الكتب :

36- ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي،(524-936هـ/1130-1529م) ، دار المعارف 1405هـ/1985م.

37- إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ الدار البيضاء، دار الرشاد للنشر و التوزيع د.ط، 1420هـ، 2000م، ج1.

38- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغربط الإسلامي، ط،1: 1989م، ج1.

39- اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1980.

40- إسماعيل العربي، "العمران" و النشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد"، مجلة الأصالة

41- إسماعيل العربي، المدن المغربية، الجزائر, المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط ؛ 1984

42- الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر ق 19، تح : يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ج1،

43- برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن 13الى نهاية القرن 15م نقله للعربية حمادي الساحلي، ج1،ط1 ، بيروت ،1988

44- بوزيان الدراجي، أدباء و شعراء من تلمسان الجزائر، دار الأمل للدراسات و النشر و التوزيع، د.ط،2011 ج1،

45- حساني مختار، الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية عين مليلة الجزائر ؛ دار المهدي، 2011، ج:2،

46- خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6 هـ - 9 هـ / 12م-15م) : دراسة في دورها السياسي والحضاري) دار الامل للطباعة، 2011 ،

47- الدراجي بوزيان ، القبائل الأمازيغية ، الجزائر،دار الكتاب العربي،د.ط، ،2007ج 2

48- دومنيك فاليرين ، بجاية ميناء مغاربي ، تر: علاوة عمارة، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، ج 1

49- رشيد برونية ، الدولة الحمادية الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية د، ر، ط ، 1977،1397هـ

50- رضوان مارة، درس من الداية، الجزائر، المؤسسة الوطنية، طبعة 1987.

51- روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن10 الى 12م تح: حمادي ساحلي ، ج2

52- سيدي موسى محمد الشريف،مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية و الفكرية،تق:محمد الأمين بلغيث،الجزائر،داركرم االله للنشر والتوزيع،د.ط،د.س.ت

53- شارل فيرو، بجاية ، تر: اسماعيل العربي ، مجلة الاصالة، العدد 19، سنة 1974

54- شروقي طيف عصر الدول والإمارات الإمارات المغرب الأوسط موريطانيا (السودان)، القاهرة، دار المعارف، 286

55- صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي،دراسة اقتصادية واجتماعية منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، تونس1996 .

56- صالح بلعيد وأخرون ، العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان وبجاية تيزي وزو د ر ب دار الامل للطباعة والنشر د ط 2011

57- صالح بن قربة و آخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، د، ط، 2007

58- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره ، الجزائر ؛ الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د.ط، 1974؛.

59- عبد الحميد عويسي ، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر ، دار الشروق ، ط1، 1980

60- عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، تق: أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، ،2003،

61- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، ط1، دار1983.....،

62- عز الدين عمر موسى،الموحدون في المغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم جامعة الملك سعود الرياض ،

63- علاوة عمارة، النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر 6هـ12م، دراسات في تاريخ،

64- عيساني جميل وفائريان دومينيك، العلاقات بين مدينتي بيزا وبجاية في العصور الوسطى، مساهمة حاسمة في بناء الانتماء للمتوسط، بجاية مركز إشعاع للمعرفة، وزارة الثقافة، الجزائر 2008،

65- غازي الشمري، دراسات في النظم الإسلامية ، ط1 ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر

66- غزاوي أحمد، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، ج3،

67- لخضر عبدلي ، التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد الجزائر ، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

68- لطفي بن ميلاد، فريقية والمشرق المتوسطي من اواسط القرن 5هـ/11م الى مطلع القرن 10هـ/16م: وقائع الانفصال وتحديات الاتصال ، بيت الحكمة تونس

69- لطيفة بشاري، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر هجري (12-13م) وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، د.ط، د.س،

70- محمد أبو المحاسن عصفور المدن الفينيقية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ط،د.س

71- محمد الصغير غانم التوسع الفينيقي في غربي بأم عين مليلة، الجزائر، دار الهدى،

72- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983،

73- محمد المنوني ورقات عن حضارة المرينيين ، الرباط الدار البيضاء : 1420هـ، 2000م.

74- محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا الحسن، تح: ماريا خيسوس فيفيرا، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط ؛ 1981

75- محمد عبد الرؤوف المناوي ، الكواكب الدرية في تراجم السماوة الصوفية (الطبقات الكبرى) تح: محمد سامي ابو بكر ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، 2009 ، ج3

76- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني، الكويت، دار القسم للنشر و التوزيع، طاء 1405هـ، 1985م و طي 1408هـ، 1987م،

77- محمود شاكر ، تاريخ الإسلام، دروت: المكتب الاسلامي بال ، 4: 1991ج 7

78- مزاري توفيق عبد الصمد النشاط البحري للمغرب الاسلامي ، منشورات دار الثقافة ، الجزائر 2014.

79- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد يوسف بن يعقوب المريني، العراق؛ جامعة الموصل، 1425هـ، 2009م،

80- نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، د.ب؛ دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع، د.ط، 2010

81- ويل ديوارت ، أبطال من التاريخ مختصر قصة الحضارة، تر : سمير كرم، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، 2001م،

82- يوسف نكادي، الزراعة في الأندلس الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، 2009م.

الدوريات :

1- صالح بعيزيق، رحلة ابن بطوطة والتاريخ الإقتصادي لبلاد المغرب وبلاد السودان والمشرق في النصف الأول من القرن 8 هـ/14م"، المجلة التونسية للعلوم الإجتماعية، العدد 139، السنة 47، تونس 2010،

2- مريم هاشمي ، اسهامات علماء بجاية في الحركة العلمية في المغرب الأوسط خلال القرنين (8-7 هـ / 14-15 م) ، مجلة كان التاريخية، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، عدد21،2013

3- محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بجاية، 1-12 ربيع الأول 1394هـ/ 25مارس إلى 15 أبريل 1974م، منشورات وزارة الشؤون الدينية،

الرسائل الجامعية :

1- بوتشيش أمينة ، بجاية من العهد الحمادي الى الغزو الاسباني دراسة تاريخية وحضارية ،شهادة دكتوراء ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ،2016.

2 - خليفة فضيلة ودرار نوال ، بجاية في العهد الحفصي ،شهادة ماستر ، جامعة بن خلدون، تيارت ،2016

فهرس المحتويات

كلمة شكر وعرفان..... 2

الاهداء.....3

المقدمة..... 4

الفصل الاول : الاطار الجغرافي والتاريخي لبجاية الحفصية 7

المبحث الاول : أصل تسمية بجاية وموقعها الجغرافي الاستراتيجي:..... 8

1- أصل تسمية بجاية 8

2-الموقع الجغرافي وأهميته..... 9

المبحث الثاني :العلاقات الخارجية لبجاية الحفصية ضمن مجال المغرب الاسلامي

.....13

1-علاقة بجاية المستقلة بتونس.....13

2- علاقة بجاية الحفصية ببني مرين.....18

3- علاقة بجاية الحفصية ببني عبد الواد..... 21

الفصل الثاني : الاوضاع الاقتصادية لبجاية الحفصية.....24

المبحث الاول : النشاط الفلاحي:.....25

1-الزرعة..... 26

2-الري 28

3-تربية المواشي.....29

4-عراقيل الانتاج الفلاحي..... 30

المبحث الثاني : النشاط الصناعي.....36

1-صناعة السفن 36

2-صناعة الأخشاب 37

3- صناعة المنسوجات.....37
4- الصناعة الجلدية.....39
5- الصناعة الفخارية والزجاجية.....39
المبحث الثالث : النشاط التجاري داخل المدنية :..... 39
1-الأسواق 40
2-الفنادق 44
3-السكة الحفصية..... 45
الفصل الثالث : الدور التجاري لبجاية الحفصية في تفعيل العلاقات الخارجية بين ضفتي المتوسط مابين القرنين (7-9هـ/13-14م).....50
المبحث الاول : دور بجاية في التجارة الخارجية 51
المبحث الثاني :العلاقات التجارية بين ضفتي البحر الابيض المتوسط..... 52
أولا : مع الامارات الايطالية :.....52
1- جنوة.....53
2- بيزا.....56
3- فلورنسيا.....58
4- البندقية.....60
ثانيا : مع شبه الجزيرة الايبيرية..... 62
1- الممالك المسيحية 62
2- الاندلس 67
ثالثا : مع امارات وممالك البحر الابيض المتوسط :..... 68
1- قبرص.....68
2 - مرسيليا.....68

3- بلاد المشرق الاسلامي.....71

المبحث الثالث : طبيعة المبادلات التجارية مع بجاية الحفصية :.....72

1- الصادرات 73

2- الواردات 75

الخاتمة 79

الملاحق.....83

قائمة المصادر والمراجع.....93

فهرس المحتويات.....95

REPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAI
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEURE ET DE L
RECHERCHE SCIETIUFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SCOCIALES
DEPARTEMENT SCIENCES HUMAINES

الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليـم العالـي و البحـث العلمـــي
جامعـــة محمـــد خيضـر- بسكـــر ة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
السنة الجامعية 2025/2024

بسكرة في 25 ماي 2025.

الاسم واللقب الأستاذ المشرف :كربوع المسعود
الرتبة :أستاذ التعليم العالي والبحث العلمي
المؤسسة الأصلية :جامعة خيضر – بسكرة -

الموضوع: إذن بالايداع

أنا الممضي أسفله الأستاذ (ة) **الدكتور كربوع المسعود** وبصفتي مشرفا على مذكرة الماستر للطالب : **مزروع بن يحي .**

في تخصص:تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط .

والموسومة: بـ بجاية الحفصية ودورها في تفعيل العلاقات الاقتصادية بين ضفتي البحر الابيض المتوسط مابين القرنين (**7–9هـ/13–14م**).

والمسجل بقسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، أقر بأن المذكرة قد استوفت مقتضيات البحث العلمي من حيث الشكل والمضمون، ومن ثمة أعطي الإذن بطبعها.

إمضاء المشرف مصادقة رئيس القسم

كربوع المسعود

جامعة خيضر بسكرة ، ص.ب 145 ق ر ، 07000 بسكرة.
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، القطب الجامعي ، شتمة .
Université Mohamed Khider, B.P145 RP 07000 Biskra
☎ 033.50.1240

REPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SOCIALES
DEPARTEMENT SCIENCES HUMAINES
REF: /D.S.H./2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية -السنة الجامعية 2024- 2025
رقم : /ق.ع.إ/ 2025

التصريح الشرفي الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز مذكرة الماستر

أنا الممضي أسفله،

-الطالب(ة): مزروع بن يحي رقم بطاقة الطالب: 2201451277 تاريخ الصدور: 2025/2024

المسجل (ين) بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: العلوم الانسانية شعبة: التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

والمكلف(ين) بإنجاز مذكرة ماستر الموسومة ب:" بجاية الحفصية ودورها في تفعيل العلاقات الاقتصادية بين ضفتي البحر الابيض المتوسط مابين القرنين (7-9هـ/13-14م)".

أصرح بشرفي(نا) أني(نا) ألتزم(نا) بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز المذكرة المذكورة أعلاه.

التاريخ: 25/ماي/2025

توقيع المعني:

جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص.ب 145 ق ر ، 07000 بسكرة.
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، القطب الجامعي ، شتمة .
Université Mohamed Khider, B.P145 RP 07000 Biskra
033.50.12.40